الجمهورية الجزائرية الشعبية الديمقراطية

جامعة يحيى فارس المدية

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية

القسم: علوم إنسانية

الشعبة: تاريخ

دور التجارة في نشأة مدن المغرب الإسلامي

من القرن (2-6هـ/8-12م)

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر في تاريخ المغرب الإسلامي في العصر الوسيط.

إعداد :

- هشام حجار.

- مختار عداد.

إشراف :

- د/ فريدة شيخي.

أعضاء لجنة المناقشة

الاسم واللقب	الرتبة العلمية	الصفة
		رئيسا
		مشرفا ومقررا
		عضوا مناقشا

السنة الجامعية : 1441/1440هـ - 2020/2019م

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

جامعة يحيى فارس المدية

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية

القسم: علوم إنسانية

الشعبة: تاريخ

دور التجارة في نشأة مدن المغرب الإسلامي

من القرن (2-6هـ/8-12م)

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر في تاريخ المغرب الإسلامي

إعداد

- هشام حجار.

- مختار عداد.

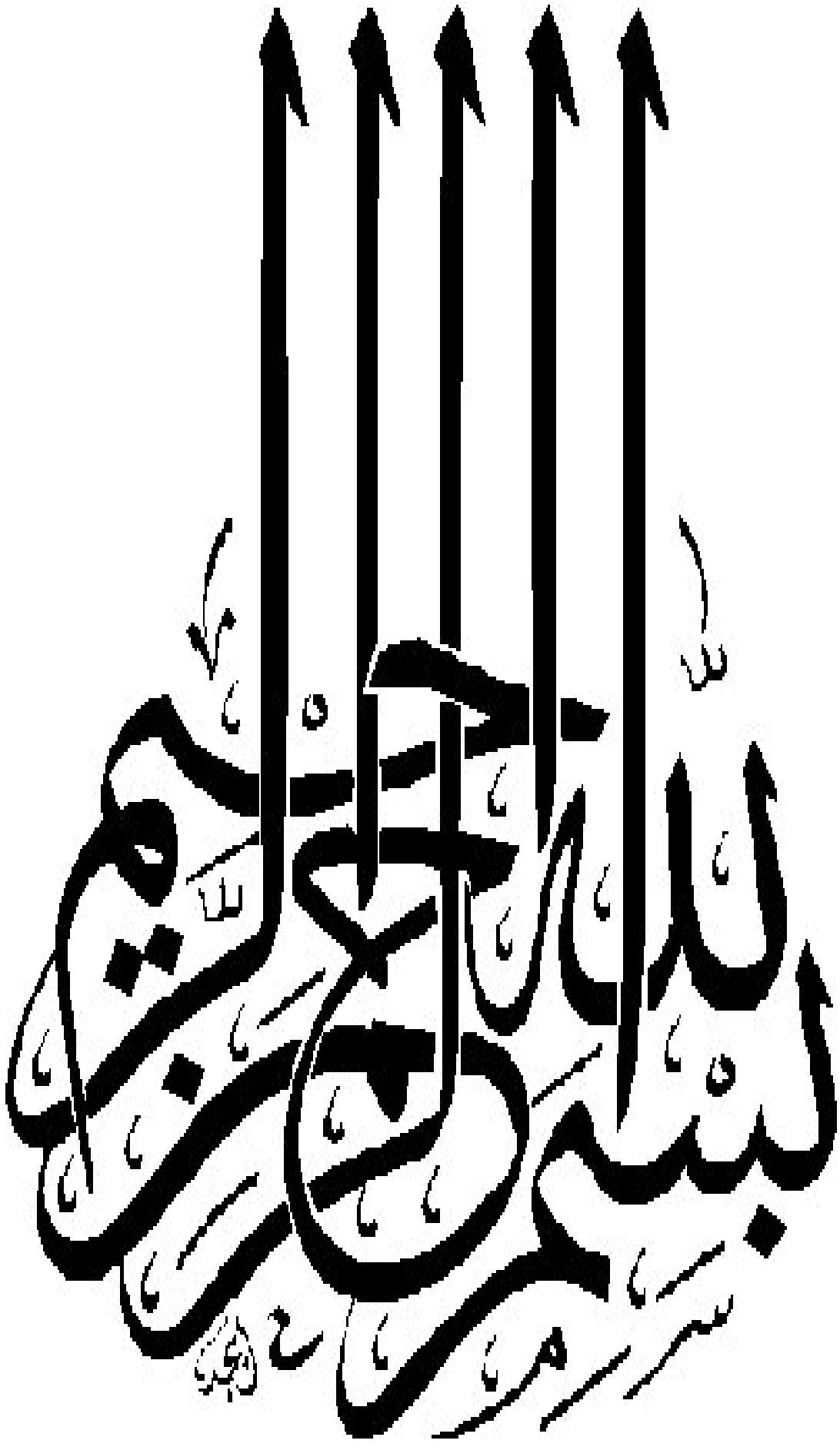
إشراف :

- د/ فريدة شيخي.

أعضاء لجنة المناقشة

الاسم واللقب	الرتبة العلمية	الصفة
		رئيسا
		مشرفا ومقررا
		عضوا مناقشا

السنة الجامعية : 1441/1440هـ - 2020/2019م


بسم الله الرحمن الرحيم

شكر وعرفان

قال رسول الله صلى الله عليه و سلم:

" من لم يشكر الناس لم يشكر الله"

الحمد لله حمد معترف بمنته في حمده، والشكر له، شكر عارف بإحسانه ورِفْده.

الحمد لله الذي أرادنا ليوم كهذا و الحمد لله الذي يسر خطانا لإتمام بحثنا المتواضع هذا.

نتوجه بالشكر و العرفان للدكتورة " فريدة شيخي" التي تفضلت بالإشراف على هذه الدراسة، كما نتوجه بالشكر لكل أساتذة التاريخ في جامعة المدية، ولكل زملائنا، ولمن كان لهم الفضل في إنجاز هذه الدراسة.

الإهداء

أهدي ثمرة هذا الجهد إلى:

الوالدين الكريمين.

إخوتي وأخواتي فردا فردا.

الأصدقاء والزملاء.

معلميّ وأساتذتي .

هشام

الإهداء

إلى من كان لهما الفضل في وصولي إلى هذه الدرجة من العلم والمعرفة، ولم ينسياني يوما بدعائهما ونصائحهما ، الوالدين الكريمين حفظهما الله وأطال في عمرهما.

إلى إخوتي أفراد عائلتي اللذين كانوا مصدر الدعم المادي والمعنوي.

إلى من أتقاسم معه ثمرة هذا العمل زميلي هشام.

وإلى كل أستاذ تعلمت على يده في كل الأطوار.

إلى كل أصدقائي و من عرفتهم.

أهدي هذا العمل.

مختار

قائمة المختصرات

المصطلحات	الاختصارات
تحقيق	تح
ترجمة	تر
تعليق	تع
تقديم	تق
تنقيح	تن
توفي	ت
جزء	ج
دون تاريخ	دت
دون طبعة	دط
الصفحة	ص
الطبعة	ط
العدد	ع
قبل الميلاد	ق م
القرن	ق
المجلد	مج
مراجعة	مر
الميلادي	م
الهجري	هـ

المقدمة

عرف العالم الإسلامي ابتداء من القرن الثاني الهجري تطورا عمرانيا كبيرا وملفتا، ويعد تأسيس المدن من أبرز سماته، ولاشك أن الحال في بلاد المغرب لا يشذ عن ذلك، إذ أن بلاد المغرب عرفت إنشاء العديد من المدن بعد الفتح الإسلامي.

وبما أن ظاهرة نشأة المدن عبر مراحل التاريخ ليست إلا نتيجة سياسية، واقتصادية، واجتماعية، تفاعلت وتداخلت وتبادلت التأثير، فإن تاريخ التمدن في مغرب العصور الوسطى يثبت أن هذه الحركة كانت مرتبطة ارتباطا كبيرا بازدهار الحياة الاقتصادية، التي كانت التجارة أبرز سماتها في العصر الوسيط، ولذلك فإن علاقة التجارة بتأسيس المدن في المغرب تستحق اهتماما كبيرا ودراسة جادة.

أسباب اختيار الموضوع:

مما لا شك فيه أن لكل باحث الرغبة والميول لدراسة موضوع معين، وعليه فإن فضولنا قادنا إلى الخوض في غمار هذا العنوان، بغية التعرف على:

- تاريخ نشأة المدن المغربية الوسيطية.
- دور التجارة في الحركة العمرانية في العصر الوسيط.
- إبراز دور التجارة في نشأة وتأسيس مدن المغرب الإسلامي.
- التعرف على إسهامات التجارة ف نقل المؤثرات الحضارية بين مدن بلاد المغرب.

أهمية الموضوع:

تكمن أهمية دراستنا هذه في :

- يبرز الموضوع المقومات التجارية التي كانت تمتلكها بلاد المغرب من موقع وتضاريس، وشبكة من الطرق والمسالك الاستراتيجية التي تربط بين مختلف الأسواق العالمية.
- من خلاله أيضا يمكننا التعرف على الفكر العمراني الإسلامي، من خلال التعريف بالمدينة الإسلامية، ومدى تأثير هذا الفكر في المدن المغربية.
- معرفة دور التجارة في تأسيس المدن المغربية وتطورها.

الإشكالية:

لدراسة هذا الموضوع دراسة منهجية طرحنا الإشكالية التالية:

- إلى أي مدى كان للتجارة دورا في تأسيس مدن المغرب الإسلامي في العصر الوسيط؟

ويتفرع عن هذه الإشكالية عدة تساؤلات فرعية أهمها:

- ماهي الأسس والمقومات التي قامت عليها التجارة في بلاد المغرب؟
- ما هو واقع العلاقات التجارية بين دول المغرب والدول المجاورة لها؟
- ماهي أبرز العوامل المساهمة في تأسيس المدينة الإسلامية في المغرب؟
- ما هو دور التجارة في بناء المدينة المغربية الوسيطية؟
- ماهي أبرز المدن المغربية التي كان للتجارة دورا في بنائها وتطورها؟

الدراسات السابقة للموضوع:

بعد قراءتنا الأولية للموضوع لم نجد دراسات تناولته بصفة كاملة، إلا بعض الدراسات التي تناولت الموضوع بشكل جزئي، أي أنها تناولت إقليما واحدا من أقاليم المغرب، كما أنها لم تتناول دور التجارة بصفة عامة، فبعضها اكتفى بذكر الطرق التجارية فقط، ولعل أبرز هذه الدراسات نذكر:

مذكرة ماجستير للباحث خالدي عبد الرزاق والتي عنونها بـ: " دور الطرق التجارية في إنشاء المدن بالمغرب الأوسط في العهد الوسيط، مدينة وارجلان نموذجا"، والتي أفادتنا في ذكر دور الطرق التجارية في إنشاء المدن، وإنشاء مدينة وارجلان.

المنهج المتبع:

أما بخصوص المنهج فقد اعتمدنا على المنهج التاريخي القائم على جمع المعلومات من المصادر الوسيطية، كما اعتمدنا على آليات البحث التاريخي المتمثلة في التحليل والاستقراء والتركيب لبناء موضوع يعطينا صورة واضحة عن علاقة التجارة بالمدينة المغربية من حيث التأسيس، واعتمدنا كذلك على المنهج الوصفي القائم على

وصف أهم المدن، ومواقعها بالنسبة للطرق التجارية والسواحل، ووظفنا آلية التحليل في قراءة مضامين المصادر والمراجع.

الخطة المتبعة:

وللإجابة على هذه التساؤلات قسمنا عملنا إلى مقدمة، ومبحث تمهيدي، وثلاثة مباحث، وخاتمة، ومجموعة من الملاحق.

تناولنا في المدخل الإطار النظري لبلاد المغرب من خلال تطرقنا لموقع المغرب وأقسامه، وسكان البلاد، كما تناولنا الأوضاع الاقتصادية العامة في المنطقة.

أما المبحث الأول فكان عنوانه "المقومات التجارية لبلاد المغرب" وقد قسمناه إلى أربع مطالب، تطرقنا في المطلب الأول إلى الصادرات والواردات التي كانت تحمل من وإلى بلاد المغرب، وتحدثنا في المطلب الثاني عن أهم الطرق التجارية الداخلية والخارجية، أما المطلب الثالث فقد تطرقنا فيه إلى المؤسسات التجارية من أسواق وفنادق وقناصل، أما المطلب الرابع فقد عرجنا فيه على الموانئ الهامة في بلاد المغرب.

أما المبحث الثاني فقد جاء تحت عنوان: "المدينة الإسلامية بالمغرب ودور التجارة في نشأتها"، وقد قسمناه إلى ثلاث مطالب، تحدثنا في الأول عن مفهوم المدينة لغة واصطلاحا، وتحدثنا في الثاني عن أسباب وعوامل نشأة المدينة الإسلامية عموما، والمغربية خصوصا، أما المطلب الثالث فقد أشرنا فيه إلى دور التجارة في نشأة مدن المدينة المغربية على العموم.

وفي ما يخص المبحث الثالث فقد حمل عنوان: " إسهامات التجارة في إنشاء مدن المغرب الإسلامي"، وقسمناه جغرافيا إلى ثلاث مطالب، المطلب الأول تطرقنا فيه إلى أهم المدن الساحلية التي كان للتجارة دورا في نشأتها، وتطرقنا في المطلب الثاني إلى المدن الداخلية، أما المطلب الثالث فقد ذكرنا فيه المدن الصحراوية.

و أنهينا هذه الدراسة بخاتمة اشتملت على مجموعة من الاستنتاجات التي استخلصناها من دراستنا لهذا الموضوع، كما أجبنا فيها على التساؤلات المطروحة في إشكالية البحث، ثم وضعنا الملاحق التي دعمنا بها هذه الدراسة، ثم ذكرنا المصادر والمراجع التي اعتمدنا عليها في البحث.

عرض لأهم المصادر و المراجع :

اعتمدنا في بحثنا هذا على مجموعة من المصادر والمراجع التي ساهمت بقدر كبير في خدمة موضوعنا حتى يخرج في شكله النهائي، وتراوحت هذه المصادر بين التاريخية والجغرافية .

1-الكتب الجغرافية:

تعتبر الكتب الجغرافية من أهم المصنفات التي اعتمدنا عليها في هذا البحث، كونها درست مدن العالم الإسلامي بصفة عامة، ووصفت مدن المغرب بإسهاب، وعرفت بأهميتها الاقتصادية، و أعطت إشارات عن نشأتها وتطورها، وبالتالي فقد خدمت موضوعنا بشكل كبير، ومن بين الكتب الجغرافية التي اعتمدنا عليها:

- كتاب المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب لمؤلفه أبوعبيد الله البكري(ت481هـ/1094م)، حيث نقل لنا هذا المصدر معلومات هامة وثرية عن المدن المغربية وأهميتها الاقتصادية.

- كتاب صورة الأرض لابن حوقل(ت367هـ/978م)، والذي زار بلاد المغرب الإسلامي حوالي سنة (330هـ/941م)، فهو من المصادر ذات الأهمية البالغة كونه اهتم بوصف الحدود الجغرافية للمدن المغربية والطرق الواصلة بينها، وأهم الموارد الاقتصادية لها، إضافة إلى بعض المنشآت المدنية والتجارية بها.

- كتاب نزهة المشتاق في اختراق الآفاق للإدريسي(ت560هـ/1064م)، استفدنا منه بشكل كبير في وصف الطرق التي تصل بين المراكز التجارية بالمغرب والأندلس، وفي تقدير المسافات التي تصل بينها بالمراحل والأيام.

- كتاب الاستبصار في عجائب الأمصار لمؤلف مجهول(عاش في القرن 6هـ/12م)، تكمن أهميته في ذكره لمعلومات هامة عن المدن المغربية.

2- كتب التاريخ العام:

- تاريخ ابن خلدون المسمى ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر لعبد الرحمن ابن خلدون(ت808هـ/1406م) وقد استفدنا من جزئه الأول المعنون بـ" المقدمة" في المبحثين الثاني والثالث، أي فيما يتعلق بالمدينة والعمران وعلاقة التجارة بها.

- المعجب في تلخيص أخبار المغرب لمؤلفه عبد الواحد المراكشي(ت669هـ/1270م)، والذي استفدنا منه في مواضيع مختلفة، أبرزها الطرق التجارية الساحلية والداخلية بين مدن المغرب.

- سلوك المالك في تدبير الممالك لابن أبي الربيع شهاب الدين أحمد بن محمد(ت227هـ/842م)،

و كتاب بدائع السلك في طبائع الملك لمؤلفه ابن الأزرق أبي عبد الله(ت896هـ/1493م) اللذين استفدنا من كتابتهما عن المدينة والعمران.

3- المراجع:

- الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية في المغرب الأوسط خلال القرنين الثالث والرابع الهجريين (9-10م) لمؤلفه جودت عبد الكريم يوسف، وهو أكبر مرجع اعتمدنا عليه في دراستنا، خاصة فيما يتعلق بالمقومات التجارية للمغرب ومدن المغرب الأوسط المذكورة.

- كتاب مجتمع الغرب الإسلامي، الحياة الاقتصادية والاجتماعية، لمؤلفه الحبيب الجنحاني، وهو المرجع الذي اعتمدنا عليه في إبراز دور التجارة في تطور المدن.

- كتاب المدينة الإسلامية لعبد الستار عثمان، والذي اعتمدنا عليه في معرفة العلاقة بين النشاط الاقتصادي وحركة التمدن في بلاد المغرب.

- المدن في الإسلام حتى العصر العثماني(ج1-ج2) لصاحبه مصطفى شاكر، والذي بدوره أعطى لنا صورة عن أغلب المدن المحدثة في بلاد المغرب بعد الفتح الإسلامي، وعن أسباب نشأة المدن وتطورها في العصر الوسيط.

و إلى جانب هذه المصادر والمراجع السالفة الذكر، اعتمدنا على مصادر ومراجع وبحوث أخرى لا يسعنا المقام لذكرها، وهي مثبتة في القسم الخاص بها.

الصعوبات:

واجهتنا في هذه الدراسة جملة من الصعوبات يمكن تلخيصها كالآتي:

- قلة المادة المصدرية التي اختصت في موضوع علاقة التجارة بالمدن المغربية وتناثر المعلومات فيها، الأمر الذي جعل استخراج المعلومات منها صعبا للغاية.

- صعوبة التحكم في هذه الدراسة، نظرا للفضاء الجغرافي الواسع لبلاد المغرب، وطول الفترة المدروسة، من القرن (2هـ-7هـ/8هـ-13م)،

- الأوضاع التي عاشتها البلاد جراء وباء كورونا الذي ضرب العالم، والذي توقفت بموجبه حركة الدراسة والنقل على كل المستويات، الأمر الذي حرمنا الاستفادة من الأستاذة المشرفة وأساتذة التخصص، كما حرمنا من الاستفادة من المكتبات المختلفة.

وفي الختام نرجو أن نكون قد ساهمنا ولو بالقليل في معالجة حيثيات هذا الموضوع، أو على القل أرشدنا إلى موضوع مهم يحتاج التنقيح والإلمام، كما لا يسعنا إلا أن نشكر الدكتورة شيخي فريدة على دعمها وتشجيعها لنا طيلة فترة الدراسة، وشكرنا موصول أيضا لكل من ساعدنا في بحثنا من أهل و اقارب وزملاء وأساتذة.

مبحث تمهيدي: دراسة جغرافية وبشرية لبلاد المغرب الإسلامي.

أولا: الإطار الجغرافي لبلاد المغرب الإسلامي

ثانيا: التركيبة السكانية لبلاد المغرب الإسلامي

ثالثا: الأوضاع الاقتصادية لبلاد المغرب الإسلامي

مبحث تمهيدي: دراسة جغرافية وبشرية لبلاد المغرب الإسلامي.

أولا: الإطار الجغرافي لبلاد المغرب الإسلامي

1-تسميات بلاد المغرب:

عُرفت بلاد المغرب منذ أقدم العصور بأسماء مختلفة، فقد أطلق اليونان اسم ليبيا على القسم الشمالي من قارة إفريقيا الآهل بالسكان البيض، وقابلوا بينه وبين الصحراء بلاد الأحباش السودان[1]، كما أطلق الفينيقيون لفظ افري (Aphri)على أهل البلاد الذين كانوا يسكنون حول مدينتهم طاقة (Utica) وعاصمتهم قرطاجنة[2]، ونجد هيرودوت يطلق لفظ أفريكا على كل ما يلي مصر غربا من البلاد حتى المحيط الأطلسي، ولما غَلَبَ الرومان الفينيقيين على هذه النواحي، أخذوا عنهم هذه التسمية، فأطلقوا اسم ولاية إفريقية القنصلية (Africaprocousularis) على قرطاجنة وما حولها حتى نوميديا، ويسمى الجزء المقابل منها غربا باسم نوميديا[3] ويلي ذلك مرَطانية[4].

اتسع بعدها لفظ إفريقية إلى كل الأراضي التي تقع تحت السلطة البيزنطية، وعن البيزنطيين أخذ العرب لفظ إفريقية، فأرادوا أول الأمر كلما يلي مصر غربا حتى الساحل المحيط، ثم أخذ لفظ إفريقية يتقلص وبدأ شيئا فشيئا يظهر لفظ المغرب، حتى اقتصر اسم إفريقية على ما يلي مصر غربا حتى مدينة بجاية[5].

---

[1]- شارل أندري جوليان، تاريخ إفريقيا الشمالية. تونس. الجزائر. المغرب الأقصى. من البدء إلى الفتح الإسلامي 647م، تع: محمد مزالي والبشير بن سلامة، ط2، مؤسسة تاوالت الثقافية، 2011،ص11.

[2]- قرطاجنة: من المدن المشهورة في إفريقية، وهي مدينة قديمة من آثار الأول، وبين قرطاجنة وتونس اثنا عشر ميلا، وبينها والقيروان مسير ثلاثة أيام.(أنظر: الحموي شهاب الدين أبي عبد الله ياقوت بن عبد الله(ت626هـ/1228م)، معجم البلدان، مج:4، دط، دار صادر، بيروت، 1977م، ص323).

[3]- نوميديا: تمتد من السوس الأقصى إلى آخر جهة صحراء الظهرة شرقا وجنوبا، وتحادي جبال الأطلس في الشمال الغربي، كان الإغريق يطلقون لقب البونيقيين على شعوب المنطقة، ثم أصبحوا يسمون بالنوميديين، نشأت نوميديا كمملكة في القرن التاسع قبل الميلاد، وعرفت في عهد الملك مسينيسا أوج قوتها، وقد انقسمت في القرن الثالث قبل الميلاد إلى نوميديا الشرقية ونوميديا الغربية. (أنظر: مارمول كربخال عاش في القرن(10هـ/16م)، إفريقيا، تر: حمد حجي وآخرون، ج3، دط، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرباط، 1984م، ص137؛ محمد الهادي حارش، الجذور التاريخية لمملكة نوميديا، "مجلة الاتحاد العام للآثاريين العرب"، العدد10، القاهرة، 2009م، ص275).

[4]- مرطانية: أو موريطانية، وهي المناطق الواقعة غرب نوميديا إلى المحيط الأطلسي، وهي مستقلة عن النفوذ الروماني، وبتقدم النفوذ الروماني، تجزأت إلى قسمان، قيصرية وطنجية، ثم أضيفت إليهما فيما بعد موريطانيا السطيفية.(أنظر: موسى لقبال، المغرب الإسلامي، ط2، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1981م، ص13،14).

[5]. حسين مؤنس، فتح العرب للمغرب، دط، مكتبة الثقافة، القاهرة، مصر، دت، ص03.

2- مصطلح المغرب:

يرتبط ظهور مصطلح المغرب بعصر الفتنة بين علي[1] ومعاوية[2]، أي قبل منتصف القرن الأول الهجري، ويظهر انه استعمل في هذه الفترة للدلالة على الجزء الغربي من العالم الإسلامي، الذي كان يشمل مصر بملحقاتها، والشام وما جاورها، ويقابله من الناحية الأخرى المشرق الإسلامي، الذي كان يشمل العراق، وفارس، وما وراء النهر[3]، ويصف علي رضي الله عنه بلاد الشام بالمغرب أثناء استعداده للخروج إلى الحرب مع معاوية، حيث ينقل ابن الأثير(ت630هـ/1233م) قول علي، فيقول: "تجهزوا للمسير إلى عدوكم من أهل المغرب"[4].

أما إطلاق مصطلح المغرب على شمال إفريقيا فالغالب أنه ظهر في عصر ابن عبد الحكم(ت257هـ/871م) الذي أشار إلى المغرب في ذكره نشاط معاوية بن حديج[5] بقوله: "خرج إلى المغرب بعد عبد الله بن سعد[6] معاوية بن حديج التجيبي سنة أربع وثلاثين"[7].

3-حدود بلاد المغرب: اختلف الجغرافيون والمؤرخون المسلمون في تحديد المغرب، فجعله البعض يشمل بلاد شمال إفريقيا إلى جانب الأندلس، وكافة أراضي المسلمين في الحوض الغربي لبحر الروم[1]، مثل صقلية[2] وجنوب

---

[1]- علي بن أبي طالب: الصحابي الجليل ابن عم النبي صلى الله عليه وسلم، وصهره على ابنته فاطمة، وأبو السبطين الحسن والحسين، تولى الخلافة سنة 35هـ بعد استشهاد عثمان بن عفان، واستشهد مغدورا سنة 40هـ وعمره 57سنة.(أنظر: ابن الأثير أبي الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني(ت630هـ/1233م)، أسد الغابة في معرفة الصحابة، ط1، دار ابن حزم، بيروت، لبنان، 1433هـ/2012م، ص871،886،887).

[2]- معاوية بن أبي سفيان: معاوية نب حرب بن أمية بن عبد قيس القرشي الأموي، وأمه هند بنت عتبة، أسلم أيام الفتح، تولى دمشق في خلافة أبي بكر الصديق وعمر بن الخطاب، وجمع له عثمان كل الشام في خلافته، لم يبايع عليا بعد مقتل عثمان، أصبح خليفة بعد استشهاد علي سنة 35هـ، وبعد أن سلم إليه الحسن بن علي الخلافة تجنبا للفتنة، توفي سنة 95هـ.(أنظر: ابن الأثير، أسد الغابة، ص1145،1146).

[3]. موسى لقبال، المرجع السابق، ص15،16.

[4]. ابن الأثير، الكامل في التاريخ، تح: أبي الفداء عبد الله القاضي، مج3، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان،1987م، ص172.

[5]- معاوية بن حديج السكوني: من تجيب، غزا الحبشة مع ابن سرح، وغزا إفريقية ثلاث مرات بعد توليته إياها.(أنظر: ابن الأثير، أسد الغابة، ص1144).

[6]- عبد الله بن سعد بن أبي سرح: أخو عثمان من الرضاعة، أسلم قبل الفتح وهاجر مع المسلمين، كان من كتبة الوحي، لكنه ارتد ورجع إلى مكة، أسلم مرة أخرى بعد الفتح، ولاه عثمان مصر سنة 25هـ، ففتح الله على يديه إفريقية في نفس السنة، توفي سنة 36هـ.(أنظر: ابن الأثير، أسد الغابة، ص678).

[7]. ابن عبد الحكم(ت257هـ/871م)، فتوح مصر والمغرب، تح: عبد المنعم عامر، ج2، دط، شركة الأمل للطباعة والنشر، القاهرة، دت، ص260.

إيطاليا، وجزيرتي سردينيا[3] وكورسيكا[4]، وجزر البليار[5][6]، ومنهم من جعلها تشمل بلاد شمال إفريقيا والأندلس[7] فقط، حيث يذكر الإصطخري (ت346هـ/957م):" وأما المغرب فهو صنفان يمتدان على بحر الروم، نصف من شرقيه، ونصف من غربيه، فأما الشرقي فهو برقة[8]وتاهرت[9] والسوس[10] وزويلة[11]، وما في أضعاف هذا الإقليم، وأما الغربي فهو الأندلس"[12]، أما أغلب المؤرخين فيجعلون بلاد المغرب منفصلة عن الأندلس،

---

[1]- بحر الروم: هو خليج من البحر المحيط، مخرجه أرض الأندلس يمتد من سواحل المغرب إلى مصر، ممتدا على أرضها إلى الشام، وينعطف إلى بلدان الروم، وهو ما يعرف بالبحر المتوسط حاليا.(أنظر: ابن حوقل أبي القاسم(ت367هـ/977م)، صورة الأرض، دط، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان، 1992م، ص174).

[2]- صقلية: جزيرة عظيمة من جزائر أهل المغرب، مقابلة لإفريقية، مثلثة الشكل، وهي حصينة كثيرة البلدان والقرى. (أنظر: القزويني زكرياء بن محمد بن محمود(ت682هـ/1283م)،آثار البلاد وأخبار العباد، دط، دار صادر، بيروت، دت، ص215).

[3]- سردينيا: جزيرة في البحر المتوسط، تقع جنوب جزيرة كورسيكا، تقع على بعد 200كلم غربي إيطاليا، وهي جبلية وغير منتجة.(أنظر: محمد عتريس، معجم بلدان العالم .آخر التطورات السياسية .أحدث البيانات الإحصائية، ط1، الدار الثقافية للنشر، مصر، 2000م، ص173).

[4]- كورسيكا: مدينة في البحر المتوسط تبلغ مساحتها 8721كلم^2، ويبلغ عدد سكانها 250ألف نسمة، عاصمتها أجيكو وهي تابعة لفرنسا حاليا.(أنظر: محمد عتريس، المرجع السابق، ص299).

[5]- جزر البليار: يطلق جزر البليار على مجموعة من الجزر في غرب المتوسط، تشكل أرخبيلا يغطي مساحة كبيرة تصل إلى 4900كم^2، تتكون من خمس جزر رئيسية: ميورقة، منورقة، يابسة، فرمنتيرة، وقبريرة، تقع بين سواحل شرق إسبانيا، وجنوب فرنسا، وغرب إيطاليا، وجزر سردانية وصقلية وسواحل بلاد المغرب الشمالية.(أنظر: عصام سالم بسالم، جزر الأندلس المنسية، التاريخ الإسلامي لجزر البليار، ط1، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، 1984م، ص15).

[6]. أحمد مختار العبادي، في تاريخ المغرب والأندلس، دط، دار النهضة العربية، بيروت، دت، ص09.

[7]. الأندلس: جزيرة كبيرة فيها عامر وغامر، طولها نحو الشهر في نيف وعشرين مرحلة، تقابل بلاد المغرب من جهة بحر الروم، والبحر المحيط غربا، أما شمالا فهي متصلة بالبر الأصغر من جهة جليقية.(أنظر: الحموي، المصدر السابق، مج1، ص262).

[8]- برقة: مدينة متوسطة ليست بالكبيرة ولا بالصغيرة، وهي برية بحرية جبلية، وهي أول منزل للقادم من مصر إلى القيروان. (أنظر: ابن حوقل، المصدر السابق، ص69).

[9]- تاهرت: اسم لمدينتين متقابلتين بأقصى المغرب، يقال لإحداهما تاهرت القديمة والأخرى تاهرت المحدثة، بينهما وبين المسيلة ستة مراحل، وهي بين تلمسان وقلعة بني حماد.(أنظر: الحموي،المصدر السابق، مج2، ص07).

[10]- السوس: تقع بلاد السوس وراء جبال الأطلس إلى جهة الجنوب، تبتدئ غربا من المحيط، وتنتهي جنوبا في رمال الصحراء، وشمالا في الأطلس عند حدود حاحا، وشرقا عند نهر السوس الذي سميت هذه الناحية باسمه.(أنظر: الحسن بن محمد الوزان الفاسي(ت957هـ/1550م)، وصف إفريقيا، تر: محمد حجي ومحمد الأخضر، ج1، ط2، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1983م، ص113).

[11]- زويلة: مدينة غير مسورة في وسط الصحراء، وهي أول بلاد السودان، بها جامع وحمام يجتمع بها الرفاق من كل جهة منها.(أنظر: أبي عبيد الله البكري(ت487هـ/1094م)، المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب، دط، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، دت، ص10).

[12]- الإصطخري أبو إسحاق ابراهيم بن محمد الفارسي الكرخي (ت346هـ/957م)، مسالك الممالك، دط، دار صادر، بيروت، دت، ص36.

حيث يذكر اليعقوبي(ت284هـ/897م) أن كلمة المغرب تطلق على أرض تقع بعد أرض مصر وتمتد إلى سواحل المحيط الأطلسي[1]، أي أنه لم يجعل الأندلس من المغرب.

4- أقسام بلاد المغرب

أولا: المغرب الأدنى: كان يسميه العرب في كتاباتهم ومؤلفاتهم إفريقية، يذكر البكري(487هـ/1094م)أن إفريقية تعني صاحبة السماء، كما أنها سميت كذلك لأن إفريقش بن أبرهة بن الرايش غزا نحو الغرب حتى انتهى إلى أرض طنجة[2]، وبنى إفريقية فسميت باسمه، وقيل سميت على إفريق ابن ابراهيم عليه السلام، وقال آخرون إنما سموا بالأفارقة لأنهم من ولد فارق بن مصريم[3].

أطلق لقب المغرب الأدنى على هذه البلاد لأنها أقرب إلى الإدارة المركزية لدار الخلافة في الشام[4]، أو العراق[5]، ويؤكد ذلك السلاوي(ت1297هـ/1897م) حين يقول:"...ثم هذا المغرب يشتمل على ثلاث ممالك، مملكة إفريقية، وهي المغرب الأدنى، وقاعدتها في صدر الإسلام مدينة القيروان[6]، وفي هذا العصر مدينة تونس[7]، وسمي أدنى لأنه أقرب إلى بلاد العرب ودار الخلافة بالحجاز..."[8].

---

[1]- اليعقوبي أحمد بن أبي يعقوب(ت284هـ/897م)، البلدان، تح: محمد أمين ضناوي، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 2002م، ص180.

[2]- طنجة: مدينة على ساحل بحر المغرب مقابل الجزيرة الخضراء بالأندلس، وهي من البر الأعظم وبلاد البربر، وهي مدينة قديمة وعامرة، وبين طنجة وسبتة مسيرة يوم واحد.(أنظر: الحموي، المصدر السابق، مج4، ص43).

[3]. البكري، المصدر السابق، ص21.

[4]- الشام: إقليم في المشرق الإسلامي، حده من الفرات إلى العريش المصرية، وأما عرضها منم جبلي طيء إلى بحر الروم، وبها أمهات المدن مثل منبج، حلب، حماه، حمص، بيت المقدس، والمعرة، وفي الساحل أنطاكية، طرابلس، عكا وصور عسقلان.(أنظر: الحموي، المصدر السابق، مج3، ص312).

[5]- العراق: بلد على شاطئ دجلة والفرات، وهو ما بين هيت إلى بلاد السند والصين، إلى الري وخراسان إلى الديلم، والكوفة، والبصرة، القادسية، الأحواز، فارس، ودهستان كلها من العراق.(أنظر: الحميري محمد بن عبد المنعم (توفي أواخر القرن9هـ/15م)، الروض المعطار في خبر الأقطار، تح: إحسان عباس، ط2، مكتبة لبنان، بيروت، 1975م، ص410).

[6]- القيروان: مدينة عظيمة في إفريقية، بناها عقبة بن نافع القرشي، وهي قاعدة إفريقية أول الإسلام، وهي الآن تابعة لتونس.(أنظر: الحموي، المصدر السابق، مج4، ص420،421).

[7]- تونس: تقع على سفح جبل متوسط الارتفاع يعرف بجبل أم أعمروا، يفصل بينها وبين مرساها بحيرة تشكل حصنا منيعا من الأخطر الخارجية، بينها وبين صفاقس ثلاثة أيام وتبعد على القيروان نحو مائة ميل، ونحو منه بينها وبين المهدية.(أنظر: الحموي، المصدر السابق، مج2، ص60؛ البكري، المصدر السابق، ص39).

[8]- السلاوي أحمد بن خالد الناصري(ت1297هـ/1897م)، الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، تن: لغليطي عبد الحميد وسويسي جمال، ، ج1، دط، مكتبة نبراس الصفا التاريخية ،دب، دت، ص33.

يمتد المغرب الأدنى من طرابلس[1] شرقا حتى بجاية[2] أو مدينة تاهرت غربا، وفي الوقت الحاضر فإن هذا المفهوم يشمل ليبيا وتونس، وبعض الأجزاء الشرقية من الجزائر[3].

ثانيا: المغرب الأوسط :عرفالمغرب الأوسط اختلافا لدى الجغرافيين في تحديد مجاله الجغرافي ،وهذا راجع إلى الأوضاع السياسية المتغيرة منذ الفتح الإسلامي حتى الدولة الزيانية[4]،لذلك عرفت الحدود الشرقية والغربية مدًا وجزرا، فمرة تتقلص ومرة أخرى تتمدد[5].

بدأ استعمال هذا المصطلح خلال القرن 5هـ/11م،حيث ذكر البكري تلمسان[6] فقال: "وهذه المدينة تلمسان قاعدة المغرب الأوسط ...وهي دار مملكة زناته وموسطة قبائل البربر..."[7]، ووظف الإدريسي(ت560هـ/1154م) نفس المصطلح في مقدمة كتابه (نزهة المشتاق) في معرض حديثه عن البحر الشامي(البحر المتوسط) الذي قال عنه أنه: " ... يمر مشرقا في جهة بلاد البربر وبشمال المغرب الأقصى، إلى أن يمر بالمغرب الأوسط ويصل إلى أرض إفريقية..."[8]، فحدد بذلك أقسام بلاد لمغرب المتعارف عليها في زمانه.

---

[1]- طرابلس: مدينة على شاطئ البحر، بينها وبين جبل نفوسة مسيرة ثلاثة أيام، وطرابلس مدينة إغريقية تعني: ثلاث مدن، وسماها اليونانيون طربليطة، طر: معناه ثلاث، وبليطة تعني: مدينة، ويذكر أن إثفاروس قيصر هو من بناها، وتسمى أيضا أطرابلس.(أنظر: البكري، المصدر السابق، ص6،7).

[2]- بجاية: مدينة على ساحل البحر بين إفريقية والمغرب، اختطها الناصر بن علناس سنة 457هـ، كانت في القديم ميناء، ثم بنيت المدينة وكانت قاعدة ملك بني حماد، وتسمى بالناصرية نسبة إلى الناصر بن علناس الذي اختطها.(انظر: الحموي، المصدر السابق، مج1، ص339).

[3]- سوادي عبد محمد وصالح عمار الحاج، دراسات في تاريخ المغرب الإسلامي، ط1، المكتب المصري لتوزيع المطبوعات، القاهرة، 2004م، ص26.

[4]- الدولة الزيانية: من أهم الدول التي نشأت على أرض المغرب الأوسط، استمرت لأكثر من ثلاثة قرون(633-962هـ/1235-1554م)، تنسب إلى بني عبد الواد، فرع من فروع زناتة، اتخذت من تلمسان عاصمة لها.(أنظر: قدور منصورية، ندرومة دراسة تاريخية وحضارية بين القرون السابع والعاشر الهجرية (633-962هـ/1235-1554م)، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في تاريخ المغرب الإسلامي، جامعة أبي بكر بلقايد، وهران، 2012/2011م، ص13،14).

[5]- أمين كرطالي، الفقهاء والحياة السياسية في المغرب الأوسط خلال القرنين (10/9هـ)(16/15م)،مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ والحضارة الإسلامية، جامعة وهران، 2014/2013م، ص02.

[6]- تلمسان: مدينة قديمة فيها آثار للأول، قاعدة المغرب الأوسط ، وأول بلاد المغرب الأقصى، بينها وبين وهران مرحلتان.(أنظر: الحميري، المصدر السابق، ص135).

[7]- البكري، المصدر السابق، ص76.

[8]- الإدريسي أبي عبد الله محمد بن محمد بن عبد الله بن إدريس حمودي الحسني(ت560هـ/1154م)، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، ج1، دط، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 2002م، ص10،11.

أما صاحب الروض المعطار فقد ابتدأ بلاد المغرب الأوسط بمدينة تازا[1]، فقال:" أول بلاد تازا حد ما بين المغرب الأوسط وبلاد المغرب في الطول..."[2]،وأكّد ذلك أثناء حديثه عن مدينة تلمسان، فقال:" ...قاعدة المغرب الأوسط، وحد المغرب الأوسط من واد يسمى مجمع، وهو في نصف الطريق من مدينة مليانة[3] إلى أول بلاد تازا من بلاد المغرب"[4].

ويذكر السلاوي أن عاصمة المغرب الأوسط في صدر الإسلام كانت تلمسان، وخط التقسيم الذي يكون بين المغربين الأقصى والأوسط هو مجرى وادي ملوية ما بين تلمسان و تازا[5].

من خلال هذه التعريفات نجمل القول أن المغرب الأوسط يتوسط المغرب الأدنى والأقصى، يمتد من تاهرت حتى واد ملوية وجبال تازة غربا وقاعدته مدينتي تلمسان وجزائر بني مزغنة، وتغيرت عاصمة المغرب الأوسط حسب تغير الدولة، فكانت العاصمة تاهرت أيام الدولة الرستمية، لتتحول إلى قلعة بني حماد فبجاية أيام الحماديين[6]، لتصبح أخيرا تلمسان قاعدة الزيانيين والمغرب الأوسط[7].

ثالثا: المغرب الأقصى :استخدم الجغرافيون العرب كلمة أقصى بلاد المغرب، وأقاصي بلاد المغرب إشارة إلى القسم الأخير من أرض المغرب الذي يقع على ساحل البحر المحيط[8]، وحدود هذا الإقليم يبدأ من بلاد المغرب

---

[1]- تازا: هي مدينة بالمغرب الأقصى، وأول بلاد تازا حد ما بين بلاد المغرب الأوسط وبلاد المغرب (الأقصى)في الطول.(أنظر: الحميري، المصدر السابق، ص128).

[2]- الحميري، المصدر السابق، ص128.

[3]- مليانة: مدينة قديمة رومانية، فيها آثار للأول، جددها زيري بن مناد الصنهاجي، تقع قرب وادي شلف، وتليها مدينة آشير.(أنظر: البكري، المصدر السابق، ص69).

[4]- الحميري، المصدر السابق، ص135.

[5]- السلاوي، المصدر السابق، ج1، ص33،34.

[6]- الحماديين: أو الدولة الحمادية، هي الدولة التي نشأت عن انقسام دولة بني زيري، امتدت من (406-547هـ/1015-1152م)، وتنسب إلى حماد بن بلكين بن زيري، ابن عم ملوك الدولة الزيرية، اتخذوا آشير عاصمة لهم، انتقلوا بعدها إلى قلعة ابتنوها جنوب آشير حملت اسمهم، لينقلها أخيرا الناصر بن علناس إلى مدينة بجاية، وكن سقوطها على يد الموحدين.(أنظر: حسين مؤنس، معالم تاريخ المغرب والأندلس، ط4، دار الرشاد، القاهرة، 2000م، ص173،174).

[7]- أحمد مختار العبادي، المرجع السابق، ص10،11.

[8]- الإدريسي، المصدر السابق، ج1، ص11؛ السلاوي، المصدر السابق، ص33؛ ابن عذارى أحمد بن محمد المراكشي(كان حيا عام715هـ/1312م)، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، تح: ح.س.كولان و ليفي بروفنسال، ج1، ط3، دار الثقافة، بيروت، لبنان، 1983م ،ص23.

الأوسط إلى بلاد تازا إلى آخر بلاد المغرب على ساحل البحر الكبير[1]، ويذكر أبو الفدا(ت732هـ/1331م) أن:"المغرب الأقصى من ساحل البحر المحيط إلى تلمسان غربا، وشرقا من سبتة[2] إلى مراكش[3]، ثم إلى سجلماسة وما فيها شمالا وجنوبا"[4].

أما ابن خلدون(ت 808هـ/1405م) فقد ذهب إلى أن حد المغرب الأقصى من الغرب البحر المحيط (بحر الظلمات) وسمى المدن والحواضر الواقعة فيه، أما حدوده الشمالية فهي البحر الرومي (البحر المتوسط)[5]، ومن الجنوب فحده الرمال الملتهبة الماثلة حجزاً بين بلاد السودان وبلاد البربر[6].

ثانيا: التركيبة السكانية

سكن المغرب الإسلامي فئات وأجناس عديدة من السكان، منذ الفترات القديمة، هذا الاختلاف ناتج عن سلسلة من الهجرات التي استوطنت بلاد المغرب، وتتمثل هذه العناصر السكانية في:

1-البربر: وهم السكان الأصليون، عرف سكان المغرب منذ أقدم العصور البربر[7]، وهو لفظ إغريقي أطلقه اليونان على كل من لا يتكلم الإغريقية، وعنهم أخذ الرومان ثم العرب هذه التسمية، ويقال أن إفريقش بن قيس من ملوك التبابعة[8] لما غزا المغرب، سمع لغتهم وتعجب من اختلافها وسرعتها، فقال: ما أكثر بربرتهم، فسموا بالبربر[9].

---

[1]- الحميري، المصدر السابق، ص128.

[2]- سبتة: مدينة في المغرب على الساحل، تقابل جزيرة الأندلس على طرف مضيق جبل طارق، تشتهر بمرساها الذي يعتبر من أجود المراسي.(أنظر: الحموي، المصدر السابق، مج3، ص182).

[3]- مراكش: مدينة بالمغرب، بناها الأمير المرابطي يوسف بن تاشفين واتخذها عاصمة لدولته سنة470هـ، واتخذها الموحدون عاصمة لهم بعد قيام دولتهم.(أنظر: الحموي، المصدر السابق، مج5، ص94).

[4]- ابو الفدا عماد الدين إسماعيل بن محمد بن عمر(ت732هـ/1331م)، تقويم البلدان، دط، دار صادر، بيروت، دت، ص122.

[5]- ابن خلدون عبد الرحمان(ت808هـ/145م)، تاريخ ابن خلدون المسمى ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم **من** ذوي الشأن الأكبر، تح: خليل شحادة وسهيل زكار، ج6، دط، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، 2000م، ص129.

[6]- كاربخال، المصدر السابق، ج1، ص42.

[7]- حسين مؤنس، معالم، ص28.

[8]- التبابعة: هم من ولد عبد شمس بن واثل بن الغوث باتفاق من النسابين، وكانت مدائن ملكهم صنعاء، وكان هؤلاء التبابعة ملوكا عدة في عصور متعاقبة، قال السهيلي: معنى تبع الملك المتبع.(أنظر: ابن خلدون، المصدر السابق، ج2، ص57،58).

[9]- ابن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص117.

ويقال أن البربر من ولد حام بن نوح عليه السلام، وهم من أصل بر بن قيس، وهذا ما أبطله ونفاه ابن حزم (456هـ/1064م)[1]، ويقسمهم ابن خلدون إلى قسمان كبيران، برانس وبتر، وأما شعوب هذا الجيل وبطونهم، فإن علماء الأنساب متفقون على أنهم يجمعهم جذمان عظيمان، وهما برنس وماذغيس، ويلقب ماذغيس بالأبتر، ولذلك يقال لشعوبه بالبتر[2].

البرانس: هم طائفة البربر الحضر الذين يسكنون النواحي الخصبة الشمالية ويعيشون على الزراعة[3]، ويجعلهم النسابون في سبعة أجذام وهم: إزداجة، ومصمودة، وأوربة، وعجيسة، وكتامة، وصنهاجة، وأوريغ[4].

البتر: هم الرحل سكان البادية يعيشون على الرعي والتنقل[5]،ومنهم قبائل نفوسة، وأداسة، وبنولوا[6].

2- العرب: دخل العرب المغرب الإسلامي منذ الفتح الإسلامي للبلاد، حيث جاؤوا مع الجيوش الفاتحة واستوطن عدد منهم بالمغرب لتعليم البربر تعاليم الدين، وزاد هذا التواجد في القرن الخامس الهجري الحادي عشر ميلادي، بقدوم الهجرات الهلالية[7]، هنا أصبح العنصر العربي ثاني عنصر في التركيبة السكانية لبلاد المغرب الإسلامي[8].

---

[1]- ابن حزم ابي محمد علي بن أحمد بن سعيد(456هـ/1064م)، جمهرة أنساب العرب، تح: عبد السلام محمد هارون، ط5، دار المعارف، القاهرة، دت، ص495.

[2]- ابن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص117.

[3]- حسين مؤنس، فتح العرب للمغرب، ص22.

[4]- ابن حزم ،المصدر السابق، ج2، ص495.

[5]- حسين مؤنس، فتح العرب للمغرب، ص22.

[6]- ابن حزم، المصدر السابق، ص496.

[7]- الهجرات الهلالية(433هـ/1051م): هي الهجرة التي قام بها عرب بنو هلال وبنو سليم إلى بلاد المغرب، بإيعاز من الخليفة المستنصر الفاطمي، كعقاب للمعز بن باديس الزيري بعدما أعلن استقلاله عن الفاطميين وعودته إلى المذهب السني، وكان هدفه من ذلك القضاء على أحد الشرين دون تسجيل خسائر.(أنظر: حسين مؤنس، معالم، ص166.)

[8]- أحلام برباشي و دليلة ابراهيمي، النشاط الحرفي في المغرب الأوسط من الفتح الإسلامي إلى نهاية العهد الزياني من القرن(1-10هـ/8-16م)، مذكرة تخرج لنيل شهادة الماستر في تاريخ المغرب الإسلامي في العصر الوسيط، ، جامعة المدية، 2019/2018م، ص12.

3- الأفارقة: هم بقايا الشعب القرطاجي وأخلاط من المستعمرين اللاتين والوطنيين الذين تأثروا بالحضارة البيزنطية وكانوا يدينون بالطاعة والولاء للبيزنطيين، ويعملون لهم بالصناعة والزراعة[1].

4- السود: ساعد الامتداد الجغرافي لبلاد المغرب ببلاد السودان، امتزاجا بين عناصرها السكانية منذ القدم[2]، وكانت واحات الصحراء همزة الوصل بين المغرب والسودان وتعود جذور تلك العلاقة إلى ما قبل العصر الفينيقي القرطاجي وقد اقتصر عملهم في الخدمات الخاصة كالحراسة والفلاحة دون تأسيس كيانات خاصة لجماعاتهم، حيث كانت تذوب أولا بأول في دماء أهل البلاد[3].

5- الروم[4]: هم الطبقة الحاكمة للشريط الساحلي للمغرب والذين لم يتوغلوا في الداخل نتيجة صعوبة الحياة فضلا عن رفض القبائل البربرية لسلطة المستعمر[5].

انتشر الروم في مناطق متفرقة من المغرب، فيذكر اليعقوبي عن مدينة برنيق التابعة لبرقة أن سكانها من الروم، "...وأهلها قوم من أبناء الروم القدم الذين كانوا أهلها قديما..."[6].

ثالثا: الأوضاع الاقتصادية في بلاد المغرب.

يمكننا حصر الأنشطة الاقتصادية عموما في المجالات الفلاحة والصناعة والتجارة، لذلك كان الحديث في هذا التمهيد عن النشاط الفلاحي وما يتعلق به، والنشاط الصناعي وما يتعلق به.

---

[1]- عبد الحميد حسين حمودة، تاريخ المغرب في العصر الإسلامي منذ الفتح الإسلامي وحتى قيام الدولة الفاطمية، ط1، الدار الثقافية للنشر، القاهرة، 2006م، ص20.

[2]- الإصطخري، المصدر السابق، ص40،41.

[3]- سعد زغلول عبد الحميد، تاريخ المغرب العربي من الفتح إلى بداية عصر الاستقلال(ليبيا وتونس والجزائر والمغرب)، ج1، دط، منشأة المعارف، الإسكندرية، 1993م، ص108.

[4]- الروم: جيل معروف في بلاد واسعة تضاف إليهم فيقال بلاد الروم، ويختلف في نسبهم بين من يقول أنهم من ولد روم بن سماحيق... بن إبراهيم عليه السلام، وبين من يقول أنهم من ولد روميل ابن الأصفر ...بن إسحاق، أما حدود الروم فمشارقهم وشمالهم الترك والخزر، والروس، وجنوبهم الشام، والإسكندرية، ومغاربهم البحر والأندلس.(أنظر: الحموي، المصدر السابق، مج3، ص96،97).

[5]- عبد الحميد حسين حمودة، المرجع السابق، ص24.

[6]- اليعقوبي، المصدر السابق، ص181.

1- الفلاحة :

1-1 الزراعة ومصادر المياه:

أولا: مصادر المياه: تشير النصوص الجغرافية أن بلاد المغرب احتوت على العديد من المناطق ذات الإنتاج الزراعي الكبير، وهذا بفضل سلسلة من الأنهار والأودية الموجودة في المنطقة، ولم يخل أي وصف لمدينة أو قرية من الحديث عن مصدر الماء الموجود بها.

ومن بين أهم الأودية التيَ عرجت عليها المصادر ما ذكره المراكشي(ت669هـ/1270م) في معرض حديثه عن أسماء الأنهار العظام التي بالمغرب حيث قال في ذلك:" ...نهر ببلاد إفريقية ...يسمى بجردة[1]، ...ونهر بجاية الذي يسمى الوادي الكبير[2]، ...ونهر آخر فيما بين تلمسان ورباط تازا يدعى وادي ملوية[3]، ...ونهر يدعى سبو[4]... "، وذكر أيضا نهر سوس الأقصى[5]، ونهر أم الربيع[6] [7]، ومن الأنهار المهمة في بلاد المغرب نهر وادي شلف[8] الذي يسقي أراضي العديد من مدن المغرب الأوسط[9]، كما تذكر المصادر وادي مينا[1]، ونهر

---

[1]- نهر بجردة: نهر كبير ينبع من جبال الأطلس من إقليم الزاب، غير بعيد عن مدينة تبسة، يدور في اتجاه البحر على بعد فرسخين من تونس، ويتابع سيره قاطعا ثلاثة عشر فرسخا إلى جهة الغرب ثم يصب في البحر.(أنظر: كربخال، المصدر السابق، ج1، ص41).

[2]- نهر بجاية: يسمى الوادي الكبير ينبع من الأطلس في جهة إقليم الزاب، يمر بين جبال شاهقة ثم يسير ليصب في البحر المتوسط قرب بجاية.(أنظر: كربخال، المصدر السابق، ج1، ص39).

[3]- وادي ملوية: نهر كبير ينبع من الأطلس في ناحية الحوز، على بعد خمسة عشر ميلا من مدينة كرسلوين، يمر في سفح جبل بني برناش ويصب في البحر المتوسط.(أنظر: الوزان، المصدر السابق، ج2، ص250).

[4]- نهر سبو: هو أحد الأنهار الكبرى ببلاد البربر، ينبع من أحدة جبال الأطلس الكبير بإقليم الحوز، منحدرا إلى سهول مارا على بعد فرسخ ونصف من فاس، ويصب في المحيط قرب مدينة المعمورة.(أنظر: كربخال، المصدر السابق، ج1،ص36).

[5]- وادي سوس: أكبر أنهار بلاد البربر في جهة الغرب، ينبع من الأطلس الكبير، يخترق سهول سوس إلى أن يصب في المحيط، قرب كرسطن، يفيض في الشتاء، ويقل جريانه في الصيف.(أنظر: كربخال، المصدر السابق، ج1، ص33).

[6]- نهر أم الربيع: هو وادي وانسيفن، وأم الربيع قرية على هذا الوادي، وهو كبير خرار، يجاز بالمراكب، سريع الجري، كثير الانحدار والصخور، وينحدر هذا الوادي في سعة بلاط قدرها عشرون شبرا أو نحوها.(أنظر: الحميري، المصدر السابق، ص605).

[7] . المراكشي عبد الواحد بن علي(ت669هـ/1270م)، المعجب في تلخيص أخبار المغرب، تح: محمد سعيد العريان، دط، لجنة إحياء التراث الإسلامي، الجمهورية العربية المتحدة، ص449.

[8]- وادي شلف: نهر كبير ينبع من جبال ونشريس، ثم ينحدر مارا بسهول خالية بين تنس وتلمسان، ويذهب ليصب في البحر المتوسط شرق مستغانم.(أنظر: كربخال، المصدر السابق، ج1، ص38).

[9]- الحميري، المصدر السابق، ص343.

سيرات[2]،ووادي البربر[3]،ووادي قابس[4]، ونهر سطفسيف[5]،ونهر وادي أبي رقراق[6]،وبالإضافة إلى هذه الأودية الكبيرة المشهورة في المغرب توجد أودية أخري تطرقت إليها الكتابات الجغرافية لا يمكن حصرها جميعا، بعض هذه الأنهار لا يقل ماؤها ولا ينقطع شتاء ولا صيفا، في حين يوجد أنهار وأودية صغيرة تجف في الصيف[7]،ومما لاشك فيه أن هذه الأنهار قد أسهمت في وفرة الإنتاج الزراعي.

ثانيا: المحاصيل الزراعية: تشكل الحبوب وخاصة القمح والشعير أهم المحاصيل الزراعية المنتجة في بلاد المغرب، فقد كانت سهول قسنطينة[8]،والمسيلة، وطبنة، وتنس، وشرشال، تمد بلاد المغرب بكميات كبيرة من إنتاج القمح[9]، و اتفق الجغرافيون على أن مدينة بونة ذات إنتاج وفير من القمح والشعير، وفي هذا الصدد يقول ابن حوقل(عاش في القرن 4هـ/10م):"والقمح بها والشعير في أكثر أوقاتها كما لا قدر لها..."[10]، ومدينة طبنة هي

---

(1)- وادي مينا: نهر كبير بعض الشيء ينحدر من جبال الأطلس، يمر عبر سهول مدينة بطاحة، ويجري نحو الشمال إلى البحر المتوسط قرب أرزيو.(أنظر: كربخال، المصدر السابق، ج1، ص38).

(2)- نهر سيرات: نهر كبير مشهور يقع في البحر عند مدينة أزواوا، يقع في فحص سرات، يبعد أربعين ميلا عن قلعة هوارة.(أنظر: كاتب مراكشي من كتاب القرن(6هـ/12م)، الاستبصار في عجائب الأمصار(وصف مكة والمدينة ومصر وبلاد المغرب)، تع: سعد زغلول عبد الحميد، دط، دار النشر المغربية، الدار البيضاء، 1985م، ص178).

(3)- وادي البربر: نهر كبير ينبع من جبال الأطلس في مملكة تونس، يصب في البحر المتوسط على بعد ستة فراسخ من مدينة باجة.(أنظر: كربخال، المصدر السابق، ج1، ص40،41؛ البكري، المصدر السابق، ص 69،70).

(4)- وادي قابس: ينبع نهر قابس من جبل باخليف في مفازات ليبيا، يصب في البحر قرب مدينة قابس.(أنظر: كربخال، المصدر السابق، ج1، ص41).

(5)- نهر سطفسيف: نهر بمدينة تلمسان ينبع من جبل يسمى جبل البغل، ويصب في بركة عظيمة من عمل الأول، ينبثق منها إلى نهر تافنة.(البكري، المصدر السابق، ص76،77).

(6)- أبو رقراق: نهر كبير يخرج من جبال الأطلس في مملكة فاس، يصب في البحر المحيط بين مدينتي سلا والرباط.(أنظر: كربخال، المصدر السابق، ج1، ص35).

(7)- المراكشي ، المصدر السابق، ص450.

(8)- قسنطينة: مدينة وقلعة كبيرة جدا، حصينة عالية، من القيروان إلى مجانة إلى قسنطينة، وهي على ثلاثة أنهار كبيرة، على كل نهر قنطرة كبيرة، ومن قسنطينة إلى ميلة شرقا.(أنظر: الحموي، المصدر السابق، مج4، ص349).

(9)- إسماعيل العربي، العمران والنشاط الاقتصادي في عصر بني حماد، "مجلة الأصالة"، العدد19، وزارة التعليم الأصلي والشؤون الدينية، الجزائر، 1974م، ص331.

(10). ابن حوقل، المصدر السابق، ص86.

الأخرى من بين المدن المنتجة للحبوب بمختلف أنواعها فهي كثيرة المزارع تنتج القطن والحنطة والشعير والكتان والحبوب عموما عندهم كثيرة غزيرة[1].

ويشير ابن حوقل إلى وفرة القمح والشعير في كل من وهران، البصرة، كرات، طنجة، باغاي، المسيلة، سجلماسة، قسطيلية، ومدن أخرى[2].

كما أن بعض المناطق زاد إنتاجها من الحبوب عن الحاجة لشساعة أراضيها وجودتها، ومن بين هذه المناطق مدينة مرسى الدجاج فهي مدينة بها من رخص الأسعار أيضا في الفواكه والمآكل والمطاعم والقمح والشعير والألبان والمواشي[3]، ومدينة شرشال التي بها "...من زراعة الحنطة والشعير ما يزيد عن الحاجة"[4].

الفواكه: اشتهرت الكثير من مناطق المغرب الإسلامي بمحاصيل متنوعة وأنواع مختلفة من الفواكه، فاشتهرت مدينة قابس بإنتاج الموز، كما عرفت تونس باللوز، بينما اشتهرت القل وقسنطينة بكثرة الفواكه وتنوعها، بينما اعتبر السفرجل التاهرتي أجود أنواع السفرجل، واشتهرت بلاد الجريد وبلاد الزاب بإنتاجها الوفير للتمور بأنواعها[5]، يقول البكري عن بسكرة "...وهي مدينة كبيرة كثيرة النخل والزيتون وأصناف التجار، وحوليها بساتين كثيرة "[6]، بالإضافة إلى مدينة بسكرة توجد العديد من مدن المغرب التي تشتهر بإنتاج الفواكه كمدينة طولقة[7]، ومرسى الدجاج ،وقفصة، وقابس، وسفاقس، والسوس الأقصى، وطرابلس.[8]

القطن والكتان: من أهم المدن المنتجة لهذه المحاصيل ،مدينة البصرة [9]، وسلا[1]، وتادلة [2]، ويذكر ابن حوقل أن الكتان يزرع في مدينتي بونة[3] وكرت[4] وكذا متيجة، فهي من أكثر النواحي إنتاجا للكتان[5]، وطبنة التي قال

---

[1]- نفس المصدر، ص85؛ الحميري، المصدر السابق، ص387.

[2]- ابن حوقل، المصدر السابق، ص ص76- 92.

[3]- الإدريسي، المصدر السابق، ج1، ص259؛ الحميري، المصدر السابق، ص539.

[4]- الحميري، المصدر السابق، ص340.

[5]- بغداد عربي، العلاقات التجارية للدولة الموحدية، رسالة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ والحضارة الاسلامية، جامعة وهران1، الجزائر، 2015/2014، ص 33،34.

[6]. البكري، المصدر السابق، ص 52.

[7]- طولقة: مدينة بالمغرب من ناحية الزاب الكبير.(أنظر :الحموي، المصدر السابق، مج4، ص50).

[8]. ابن حوقل، المصدر السابق، صص76- 92.

[9]- البصرة: مدينة مقتصدة، عليها سور ليس بالمنيع، ولها عيون خارجها على بساتين يسيرة، بينها وبين تشمس أقل من مرحلة، وبين فاس والبصرة أربعة مراحل.(أنظر: ابن حوقل،المصدرالسابق،ص81؛ الحموي، المصدر السابق، مج1، ص440).

عنها "...كثيرة المياه والبساتين والزروع، والقطن...ويزرعون الكتان وهو عندهم كثير، ..."[6]، بالإضافة إلى مدينة مقرة[7] التي اشتهرت بكثرة إنتاجها للكتان.

وبالإضافة إلى هذه المحاصيل الزراعية الوافرة المشهورة، تنتج بلاد المغرب محاصيل أخرى يوردها العمري(ت749هـ/1348م) عند وصفه لمملكتي إفريقية وبر العدوة التي عدد فيها من الحبوب والفواكه الكثير، ففيها من الحبوب القمح، والشعير ،والحمص ،والفول، والعدس، والذرة، والجلبان، والبسلة، أما الفواكه فقد ذكر: العنب، والتين، والرمان، والسفرجل، والتفاح، والعناب، والزعرور، والخوخ، والمشمش، والتوت، والعين، والزيتون، والليمون، وكذلك التمر، والموز، والبرقوق، والدلاع، والبطيخ الأصفر[8].

1-2 الثروة الحيوانية والسمكية:

تشكل الثروة الحيوانية أهمية كبيرة في اقتصاد دول المغرب الإسلامي ، إذ تدخل في قائمة المواد التجارية المصدرة والمستوردة، وقد اشتهرت العديد من مدن المغرب الإسلامي بكثرة ماشيتها وساعدها على ذلك كثرة سهولها وهضابها ووفرة المياه فيها، ويذكر ابن حوقل أن بونة يربى فيها الغنم وماشية من الدواب والأبقار، وفي

---

[1]- سلا: مدينة ببلاد المغرب، بينها وبين مراكش على ساحل البحر تسع مراحل، وهي مدينة أزلية قديمة فيها آثار للأول، متصلة بالعمارة التي أحدثها هناك أحد ملوك بني عبد المؤمن، وكان قد اتخذ أرباب البلدة مدينة بالعدوة الشرقية تعرف بسلا الحديثة، وهي على ضفة البحر.(أنظر: الحميري، المصدر السابق، ص319).

[2]- تادلة: تكتب بالألف المقصورة عند الحميري، هي مدينة قديمة ببلاد المغرب، فيها آثار للأول، بنى الملثمون فيها حصنا منيعا، وهي مدينة معمورة وفيها الأسواق والجامع، تقع تادلة قرب تلمسان وفاس.(أنظر: الحميري، المصدر السابق،ص127؛ الحموي، المصدر السابق،مج2، ص05).

[3]- ابن حوقل، المصدر السابق، ص78.

[4]- كرت: بضم الكاف، مدينة لطيفة في سفح جبل، لها مياه كثيرة وأجنة واسعة ومزارع عظيمة، وغلاتهم من القمح والشعير والقطن الكثير، وهي تابعة لطنجة.(أنظر: ابن حوقل، المصدر السابق،ص81).

[5]- البكري، المصدر السابق، ص65.

[6]- الإدريسي، المصدر السابق،ص263.

[7]- مقرة: مدينة صغيرة، بها مزارع وحبوب، وأهلها يزرعون الكتان، وهو عندهم كثير، ومن مقرة إلى طبنة مرحلة، وبينها وبين المسيلة مرحلة أيضا .(أنظر: الإدريسي، المصدر السابق، ص65).

[8]- العمري ابن فضل الله شهاب الدين أحمد بن يحي(ت749هـ/1349م)، مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، تح: كامل سلمان الجبوري، ج4، ط1، دار الكتب العلمية، لبنان،2010م ، ص64-65، 97-98.

مدينة جزائر بني مزغنة البقر والغنم، كما تربى المواشي أيضا في مدينة سبتة، وسبيبة[1]، وطبنة، وتاهرت[2]، وأجمل ابن حوقل المواشي في أصلهم إلى المغرب فقال :" ولهم الخيل النفيسة والبراذن والبغال والإبل والغنم وما لديهم من ماشية البقر وجميع الحيوان الرخيص ... وعندهم الجمال الكثيرة في براريهم وسكان صحاريهم التي لا تدينها في الكثرة إبل العرب"[3].

وأشار إلى كثرة الجمال في ناحية أودغست[4] بقوله:"...كان رعاتها هناك مائة، ومع كل راع منهم خمسون جملا"[5]، كما أن مدينة تلمسان اشتهرت بجودة خيولها وفضلها على سائر الخيل[6].

وبالإضافة إلى تربية المواشي، فإن مدن المغرب اشتهرت بتربية النحل وإنتاج العسل ،ويؤكد ذلك قول الإدريسي:"...ومدينة الجزائر على ضفة البحر ...وأكثر أموالهم المواشي من البقر والغنم، ويتخذون النحل كثيرا، فلذلك العسل والسمن كثير في بلادهم..."[7].

اشتهرت المدن الساحلية لبلاد المغرب الإسلامي بكثرة إنتاجها للسمك، فقد كان متوفرا في تونس وطرابلس ومرسى الخرز، و يصف ابن حوقل سمك مرسى الخرز فيقول:"...وفيها من صيود السمك ما لم أر ببلد مثله سمنا ..."[8]، كما يشير صاحب الاستبصار إلى وفرة السمك بمدينة بونة، ووصفه بأنه كثير جليل[9]، إضافة إلى مدينة جيجل التي توفر على هذا المورد بكثرة[10]، ويكثر صيد السمك في مدينة صفاقس، ووصف ابن حوقل ذلك بقوله:" ولهم من صيود السمك ما يعظم ويكثر ..."[11]، ولم يقتصر صيد السمك على المناطق الساحلية

---

(1)- سبيبة: مدينة أزلية كثيرة المياه والأجنة، تقع قرب القيروان، عليها سور من الحجارة، ولها ربض فيه الأسواق والخانات، ويزرع عندهم الكتان، ولهم ماشية كثيرة.(أنظر: ابن حوقل، المصدر السابق، ص 84).

(2)- ابن حوقل، المصدر السابق، ص ص77،78،79،84،85،86.

(3)- المصدر نفسه، ص 95.

(4)- اودغست: مدينة صغيرة في صحراء غانة، ماؤها قليل، تقع بين جبلين، شبه مكة في الصفة، عامرها قليل، بينها وبين غانة اثنا عشرة مرحلة، ومن اودغست إلى وارقلان إحدى وثلاثون مرحلة. (أنظر: الإدريسي، المصدر السابق، ج1، ص108.).

(5). ابن حوقل، المصدر السابق، ص98.

(6)- الحموي، المصدر السابق، ج2، ص44.

(7)- الإدريسي، المصدر السابق، ج1، ص258.

(8)- ابن حوقل، المصدر السابق، ص75.

(9)- مجهول، الاستبصار، ص127.

(10)- الإدريسي، المصدر السابق، ج1، ص268.

(11)- ابن حوقل، المصدر السابق، ص73.

فقط، فقد كان في مدينة المسيلة نهر يحتوي على سمك نادر، يصطاد منه أهل المسيلة الكثير، ويؤخذ منه إلى قلعة بني حماد[1]، ويعدد العمري حيوانات إفريقية والمغرب فيذكر: الخيل، والإبل، والبغال، والحمير، والبقر، والغنم، والمعز، وبهما أنواع من الطير كالإوز، والدجاج، والحمام، وغير ذلك، وذكر أن ثمن لحم الضأن والدجاج كان رخيصا[2].

2- الحرف والصناعات:

عرفت مدن المغرب الإسلامي العديد من الصناعات والحرف، التي ساهمت مساهمة كبيرة في ازدهار النشاط الاقتصادي في البلاد، وساعد توفر المغرب على الموارد الطبيعية والبشرية في نمو وتطور هذا النشاط، وتشير النصوص الجغرافية إلى غنى أقاليم المغرب من الناحية المعدنية، فقد أشار القزويني(ت682هـ/1283م) إلى مجانة[3] بأن بها معادن الفضة، والحديد، والرصاص، والكحل.

وتعد بونة هي الأخرى من المدن ذات الإنتاج الكبير لمعدن الحديد، ومن كثرته كان يحمل إلى بلاد كثيرة[4]، كما يطلعنا البكري على وجود معدن الحديد والزئبق في مدينة أرزاو[5]، في حين يتواجد المرجان بوفرة في السواحل المغربية، خاصة في مرسى الخرز الذي يصفه ابن حوقل، فيقول:"...ولا أعرف في شيء من البحار له نظير في الجودة، ولا يوجد المرجان في مكان غير هذه القرية (مرسى الخرز) ومدينة تنس، وبمدينة سبتة ...،والذي بها من المرجان قليل الجوهر، حقير المقدار في جنب ما يخرج من مرسى الخرز"[6].

---

(1). الإدريسي، المصدر السابق، ج1، ص254.

(2)- العمري، المصدر السابق، ج4، ص65،99.

(3)- مجانة: مدينة بإفريقية تسمى قلعة بسر، نسبة إلى فاتحها بسر بن أرطأة، أرضها طيبة، وهي في الطريق من إفريقية إلى تاهرت.(أنظر: القزويني، المصدر السابق، ص260؛ ابن حوقل، المصدر السابق، ص76؛ الحموي، المصدر السابق، مج5، ص56).

(4)- ابن حوقل، المصدر السابق، ص76؛ المقدسي، المصدر السابق، ص226.

(5)- أرزاو: مدينة على الساحل، بينها وبين وهران أربعون ميلا، وأرزاو مدينة رومية خالية، من آثار الأول، وبقربها جبل كبير فيه ثلاث قلاع مسورة، ورباط يقصد إليه، وفي هذا الجبل معدن الحديد والزيبق. (أنظر: البكري، المصدر السابق، ص70).

(6)- ابن حوقل، المصدر السابق، ص76.

واشتهرت مدينة بونة بكثرة الخشب الموجود بها ونوعيته الجيدة، "وتسمى بونة بلد العناب، لكثرة العناب فيها، ومنه خشب سقوفهم ووقودهم، ومنه جميع ما يتصرفون فيه"[1]، ويشير البكري إلى غابات بجبال الرحمان قرب مدينة القل[2]، فيها أشجار خشبها قابل للخرط[3].

وقد ساهم وجود الموارد المعدنية والحيوانية وانتشارها في بلاد المغرب على ازدهار وتنوع الصناعات والحرف، ومن أهمها:

صناعة السفن: يعتبر حسان بن النعمان[4] أول من قام بإنشاء دار لصناعة السفن في المغرب بعد الفتح، واستعان بذلك بعدد من أقباط مصر أرسلهم إليه والي مصر[5]، وقد كان في بجاية مركزين لصناعة السفن[6]، إضافة إلى مرسى الخرز التي تواجد بها دارا لصناعة السفن، يقول البكري :"...في هذه المدينة تنشأ السفن والمراكب الحربية التي يغزى بها إلى بلاد الروم"[7].

الصناعة الجلدية و النسيجية: تعتمد هذه الصناعة على المواد الأولية(الحيوانية والنباتية) وبعد أن سبق وأشرنا إلى وفرة إنتاج القطن، والكتان، وإلى وفرة الصوف بسبب كثرة الماشية فإن هذه الصناعة ازدهرت في بلاد المغرب، فقد اشتهرت طرابلس بصناعة المنتوجات الصوفية وطبقات الأكسية[8]، كما أن مدينة تارودنت[9] اشتهرت بكثرة الصناع الذين يمارسون هذه الحرفة [10].

---

[1] الحميري، المصدر السابق، ص115.

[2]- القل: مدينة قديمة فيها آثار كثيرة للأول من الروم، وهي على ضفة البحر، وهي مرسى مدينة قسنطينة. (أنظر: مؤلف مجهول، الاستبصار، ص127).

[3] البكري، المصدر السابق، ص83.

[4]- حسان ين النعمان بن عدي بن بكر بن مغيث بن عمرو بن عامر بن الأزد، اختاره عبد الملك بن مروان واليا على المغرب سنة 78هـ، وهو القائد الذي قضى على الكاهنة.(ابن عذارى، المصدر السابق، ج1، ص34).

[5]- حسين مؤنس، معالم، ص57.

[6]- مجهول، الاستبصار، ص130.

[7]- البكري، المصدر السابق، ص55.

[8]- ابن حوقل، المصدر السابق، ص71.

[9]- تارودنت: مدينة قديمة بالمغرب أسسها الأفارقة الأقدمون، تقع جنوب جبال الأطلس على بعد أربعة أميال.(أنظر: الوزان، المصدر السابق، ج1، ص47).

[10]- الحسن الوزان، المصدر السابق، ج1، ص117.

عرفت مدينة تبسة بصناعة البسط، حيث يقول الحموي(ت626هـ/1228م):"...يعمل بها بسط جليلة محكمة النسج، يقيم البساط منها مدة طويلة"[1]، كما اشتهرت مدينة وجدة[2]بجودة أكسيتها ويفضلها الحميري(توفي أواخر القرن9هـ/15م) على أكسية القلعة فيقول:" ...وتصنع بمدينة قلعة حماد أكسية ليس لها مثيل في الجودة والرقة، إلا الوجدية التي تصنع بوجدة"[3]، بالإضافة إلى تلمسان المعروفة بصناعة النسيج والغزل، وتصنع فيها الحنابل، والأكسية، وسروج الخيل[4].

واشتهرت مدينة لمطة بصناعة الأكاسي والعمائم المسماة بالكرازي[5][6]، وإلى جانب فاس، فقد كانت بلاد السوس تعمل بها الأكسية والثياب الرفيعة[7]، وكان نساء سجلماسة يقمن بغزل الصوف، وينسجن منه الغفارات[8]، ويصبغونها بأنواع الأصباغ[9].

وأخيرا يمكن القول أن الحديث عن النشاط التجاري وعلاقته بالمدن يجرنا بالضرورة إلى الحديث عن جغرافية بلاد المغرب الإسلامي وتقسيماتها، بالإضافة إلى التنوع في سكانها بين البربر والعرب كعنصرين أساسيين في المنطقة، وبين باقي الأجناس الثانوية الأخرى، كما قادنا إلى الحديث عن الأوضاع الاقتصادية في المنطقة.

تشير المصادر التاريخية والجغرافية وكتب النوازل وغيرها في العديد من النصوص المذكورة سابقا إلى غنى أقاليم بلاد المغرب من الناحية الاقتصادية، وهذا راجع إلى ما يزخر به هذا الأخير من الموارد الطبيعية، حيث تعد غنية من الناحية الفلاحية بما تنتجه من محاصيل زراعية متنوعة وثروة حيوانية كبيرة، ومن الناحية الصناعية بما لديها من

---

[1]. الحموي، المصدر السابق، ج2، ص13.

[2]- وجدة: مدينة قديمة أسسها اهل البلاد في سهل جميل، على بعد أربعة عشر فرسخا من البحر باتجاه الجنوب، وهي على نفس البعد من تلمسان.(أنظر: كربخال، المصدر السابق، ج2، ص294.)

[3]- مجهول، الاستبصار، ص170.

[4]. الزهري أبي عبد الله محمد بن أبي بكر(توفي أواسط القرن6هـ/12م)، كتاب الجغرافية، تح: محمد حاج صادوق، دط، مكتبة الثقافة الدينية، بورسعيد، مصر، دت، ص114،113.

[5]- الكرازي: الخرج الكبير يحمل فيه الراعي زاده ومتاعه.(أنظر: ابن منظور، لسان العرب، تح: عبد الله علي الكبير، مج5، ج43، دط، دار المعارف، دب، دت، ص3853).

[6]. الإدريسي، المصدر السابق، ج1، ص224.

[7]- المصدر نفسه، ص227.

[8]- الغفارات: زرد ينسج من الدروع على قدر الرأس، يلبس تحت القلنسوة، وقيل: هو حلق يتقنع به المتسلح، قال ابن شميل: المِغفر حِلقٌ يجعلها الرجل أسفل البيضة، تسبغ على العنق فتقيه. (أنظر: ابن منظور، المصدر السابق، مج5، ج37، ص3274).

[9]- الحموي، المصدر السابق، مج3، ص192.

مواد أولية معدنية وخشبية تمون الكثير من الصناعات والحرف، وهذا الإنتاج الوفير هو الذي جعل منها سوقا ومركزا تجاريا كبيرا.

المبحث الأول: المقومات التجارية في بلاد المغرب الإسلامي.

- المطلب الأول: المبادلات التجارية.
- المطلب الثاني: الطرق التجارية.
- المطلب الثالث: المؤسسات التجارية.
- المطلب الرابع: الموانئ.

المبحث الأول: المقومات التجارية في بلاد المغرب الإسلامي.

المطلب الأول: المبادلات التجارية

1- الصادرات:

1-1: المنتجات الزراعية والحيوانية: شكلت المنتجات الزراعية والحيوانية نسبة كبيرة من قائمة التبادل التجاري بين إقليم المغرب، وأقاليم الأندلس والسودان، وذلك نظرا لوفرته وكثرة إنتاجه في بلاد المغرب، كما اعتمدت الأندلس على المغرب في إمدادها بكميات كبيرة من المواد الغذائية المختلفة[1].

كانت تنقل المواد المصدرة نحو الأندلس بواسطة المراكب المنتشرة على طول الساحل الإفريقي[2]، بينما اعتمدت على القوافل التجارية المكونة أساسا من الجمال في نقل سلع المغرب الى بلاد السودان.[3]

ومن المحاصيل الزراعية التي كانت تشكل سلعا مهمة في التبادل التجاري، القمح والشعير، فقد كان الرستميون[4] يصدرونها الى الأندلس، حيث يُذكر أن الأمير الأموي[5] في الأندلس عبد الرحمن الثاني[6] حرص كثيرا على صداقة الرستميين لضمان إمدادات الحبوب والسلع الرستمية لرعاياه[1].

---

[1]- جودت عبد الكريم يوسف، الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية في المغرب الأوسط خلال القرنين الثالث و الرابع الهجريين (9-10م)، دط، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، دس، ص216،217.

[2]- ابن حوقل، المصدر السابق، ص82.

[3]- بغداد عربي، المرجع السابق، ص121.

[4]- الرستميون: نسبة إلى الدولة الرستمية الخارجية الإباضية التي قامت في المغرب الأوسط بزعامة الإمام عبد الرحمن بن رستم الفارسي الإباضي، وارتبط تأسيس الدولة ببناء مدينة تاهرت سنة 161هـ. (أنظر: محمود إسماعيل عبد الرزاق، الخوارج في بلاد المغرب حتى منتصف القرن الرابع الهجري، ط2،دار الثقافة، الدار البيضاء، المغرب، 1406هـ/1985م، ص149،144).

[5]- الدولة الأموية في الأندلس: هي الدولة التي أسسها الأمير الأموي عبد الرحمن بن معاوية بن هشام المعروف بالداخل، في الأندلس سنة 138هـ، وحلت محل عصر الولاة، وشهدت الدولة الأموية عهدين في حكمها: عهد الإمارة من تأسيسها إلى غاية إعلان عبد الرحمن الناصر الخلافة في الأندلس سنة 316هـ، و عهد الخلافة من سنة 316هـ إلى 422هـ، تاريخ سقوطها على يد زعماء قرطبة، وعلى رأسهم أبي الحزم بن جهور. (أنظر: حسين مؤنس، معالم، 2000م، ص415،372،299).

[6]- عبد الرحمن الثاني: معروف في التاريخ بعبد الرحمن الأوسط، رابع أمراء بني أمية على الأندلس، حكم من سنة 206هـ إلى سنة 238هـ، تعد فترة حكمه من أفضل فترات تاريخ الأندلس. (أنظر: راغب السرجاني، قصة الأندلس من الفتح إلى السقوط، ج1، ط1، مؤسسة إقرأ للنشر والتوزيع والترجمة، القاهرة، 1432هـ/2011م، ص173؛ طارق السويدان، الأندلس التاريخ المصور، ط1، شركة الإبداع الفكري، الكويت، 1426هـ/2005م، ص133).

عرفت مدن المغرب مثل بونة بإنتاج وافر للحنطة والشعير، ولما كان هذا الإنتاج زائدا عن حاجة سكانها، حملت منه الى مناطق أخرى، ويذكر ابن حوقل عن بونة فيقول: "... وبها الفواكه رخيصة، ومأكل ومطعم من القمح، والشعير، والألبان، والأجبان، والمواشي، وما يعد، وغيرهم مما يجاورهم، وبها من الأشجار، والتمر، والتين خاصة الكثير العظيم مما يحمل الى البلاد النائية لها"[2]، وقد يقصد بها بلاد الأندلس والسودان ومدن المغرب الأخرى، كما أن بعض موانئ بلاد المغرب كسلا كانت مقصدا لتجار اشبيلية الذين يتجهزون منها بالقمح، والشعير، وينقلونه الى بلاد الأندلس[3]، و حمل إليها الفستق من مدينة قفصة[4]، والتفاح الجيد من جزيرة جربة[5].

ولم تعرف قبائل الصحراء القمح إلا من خلال ما يأتي به التجار من المناطق التلية، وربما جلبت إليهم الحنطة من بلاد وارجلان[6] وغيرها، ولقد كانت أسعاره غالية جدا بسبب صعوبة نقله[7].

ومن مدينة سجلماسة صدر الى الأندلس القمح والسكر والكروم والتمور[8]، وحمل قصب السكر والتمر الى الأندلس من منطقة السوس الأقصى[9].

---

[1]- محمد عيسى الحريري، الدولة الرستمية بالمغرب الاسلامي حضارتها وعلاقتها الخارجية بالمغرب والأندلس (160هـ/296م)، ط3، دار القلم، الكويت، 1408هـ/1987م، ص233.

[2]- ابن حوقل، المصدر السابق، ص77.

[3]- الإدريسي، المصدر السابق، ج1، ص239.

[4]- البكري، المصدر السابق، ص47.

[5]- مريم محمد عبد الله جبودة، التجارة في افريقية وطرابلس الغرب خلال العهدين الموحدي والحفصي (555-980هـ/ 1160-1572م)، رسالة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه في الآداب من قسم التاريخ(شعبة التاريخ الإسلامي)، جامعة الزقازيق، مصر، 2008م، ص125.

[6]- وارجلان: عند البكري وارجلان، وعند ابن سعيد واركلان، وعند الإدريسي وارقلان، وتسمى حاليا ورقلة، يجعلها ابن سعيد عند خط طول عشرين درجة ونصف، وخط عرض أربع وعشرون درجة ونصف وعشر دقائق، وهي تتوسط الطريق الصحراوي بين تادمكة والقيروان، وبينها وبين سجلماسة إحدى وثلاثون مرحلة، ومنها إلى المسيلة اثنا عشرة مرحلة، و تبعد مسافة 300 كلم عن جبال الأطلس الصحراوي.(أنظر: البكري، المصدر السابق، ص182؛ الإدريسي، المصدر السابق، ج1، ص108،296؛ إسماعيل العربي، الصحراء الكبرى وشواطئها، دط، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، دت، ص140).

[7]- عبد العزيز رشيد، تصدير المغرب الأوسط للحبوب من (2هـ-8م) إلى (6هـ-12م)، " دورية كان التاريخية "، العدد 34، دورية رقمية، دب، 2016، ص113.

[8]- ابن حوقل، المصدر السابق، ص91.

[9]- مجهول، الاستبصار، ص211،212.

ولقد كانت مدينة تاهرت تصدر للأندلس عن طريق مرفأي تنس ووهران، أنواع الحبوب، لاسيما الحنطة[1]، وقد أكد هذا المقدسي(ت380هـ/990م) في قوله: "...وهران بحرية ميسورة، يقلعون منها الى الأندلس في يوم وليلة "[2].

ومن مدينة قفصة كان يصدر الفستق الى مصر والأندلس والسودان، يقول البكري: " مدينة قفصة أكثر بلاد القيروان فستقا، ومنها ينتشر في إفريقية، ويحمل الى مصر والأندلس وسجلماسة[3]، وحتى إن لم يذكر البكري تصديره الى بلاد السودان، الا أن حمله الى سجلماسة، التي تعتبر محطة تجارية هامة تفصل المغرب ببلاد السودان، دليل على وصول فستق قفصة الى بلاد السودان، كما أن ميناء مدينة تنس الذي كان أكثر رواده من التجار الأندلسيين يمتاز بكثرة الفواكه والحنطة وسائر الحبوب[4]، ومن مدينة قفصة الزيت الصفاقسي[5]، و أنواع الكروم والجوز واللوز وأنواع الزبيب والسفرجل[6].

ومن المواد الغذائية التي تم تصديرها الى بلاد أوربا مادة السكر والعسل والتمور وبعض الفواكه الجافة، حيث تم تصدير البلح من طرابلس الى بيزة و البندقية، والعسل والشمع من تونس وقسنطينة وبجاية وبونة إلى جنوة وبيزة والبندقية، بالإضافة الى الأسماك المجففة و أسماك التونة[7].

وقد كانت الثروة الحيوانية من بين ما يحمل الى الأقطار، فمدينة تاهرت اشتهرت بتجارة الغنم والصوف والماشية والدواب والبقر والخيول وسائر الكراع[8]، والأكيد أنها كانت تحمل إلى بلاد الأندلس، كما عُرفت بونة بتجارة الأغنام من سائر الماشية والدواب[9]، واشتهرت جزائر بني مزغنة بإنتاجها الوفير للمواشي بكل أنواعها،

---

[1]- ابن حوقل، المصدر السابق، ص78،79؛ جودت عبد الكريم يوسف، الأوضاع الاقتصادية، ص359.

[2]- المقدسي شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر الشامي (ت380هـ/990م)، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ط2، مطبعة بريل، ليدن، 1906م، ص229.

[3]- البكري، المصدر السابق، ص47.

[4]- ابن حوقل، المصدر السابق، ص78.

[5]- البكري، المصدر السابق، ص20؛ الادريسي، المصدر السابق، ص281؛ مجهول، الاستبصار، ص117.

[6]- مريم جبودة، المرجع السابق، ص110.

[7]- بغداد عربي، المرجع السابق، ص213.

[8]- ابن حوقل، المصدر السابق، ص86؛ الإدريسي، المصدر السابق، ج1، ص254؛ جودت عبد الكريم، الأوضاع الاقتصادية، ص65.

[9]- ابن حوقل، المصدر السابق، ص77.

ويشير الادريسي الى ذلك في قوله:" ...ان أكثر أموالهم المواشي من البقر والغنم، ويتخذون النحل كثيرا... وربما يتجهز به الى سائر البلاد والأقطار المجاورة لهم، والمتباعد عنهم"[1].

ويُرجع جودت عبد الكريم يوسف أن هناك علاقة لقول ابن غالب نقله عن ابن النظام فيما يخص عدد الأغنام التي كانت تدخل كل يوم قرطبة، والتي تبلغ مائة ألف رأس، وبين ما ذكره بخصوص مرسى الجزيرة الخضراء حيث وصفه بأيسر المراسي للحيوان وأقربه الى بلاد المغرب[2].

ويُكشف عن بعض صادرات المغرب الى الأندلس من خلال الهدية التي أرسلها زيري بن عطية[3] الى المنصور بن أبي عامر[4]، والتي كانت حملت مائتين من عتاق الخيل، وخمسين جملا ، وألف درقة من جلود اللمط، وزرافات، وأصناف الوحوش الصحراوية كاللمط وغيره، وألف حمل من التمر، وأحمال من ثياب الصوف الرفيعة، وذلك سنة 381هـ/991م، ويبدوا أن الأمويين كانوا بحاجة الى الجمال والخيول، فقد وصلت الى الزهراء الجمال التي بعث بها بنو خزر وكانت مائة وثلاثين جملا، وقد جلب المنصور مرة ألف حصان، بالإضافة الى البغال[5].

2-1: المنتوجات الصناعية: لاشك أن أهم سلعة افتقدها السودانيون هي الملح، وقد كانوا يستوردونه من التجار المغاربة، حيث كان يتواجد بالشواطئ الجنوبية للصحراء على بعد عشرين يوما من سجلماسة، وعلى مسافة يومين من المجابة الكبرى[6]، في مكان يسميه ابن سعيد بحصن الملح، حيث يوجد فوق معدن الملح الذي يحمله المسافرون الى السودان[7]، كما استخرج من مدينة تغازي[1]، وكان الملح يستبدل بالذهب، إذ أن الحمل

---

[1]- الادريسي، المصدر السابق، ج1، ص258.

[2]- جودت عبد الكريم يوسف، الأوضاع الاقتصادية، ص216.

[3]- زيري بن عطية: عبد الله بن خرز المغراوي، أحد الإخوة الأربعة من بني خرز، ملك زناتة سنة 368هـ، بعد انقراض دولة الأدارسة أصبح تابعا لهشام المؤيد بالله وحاجبه المنصور محمد بن أبي عامر، فغلب على جميع بوادي المغرب الأقصى، ثم ملك فاس سنة 377هـ فاستقر بها وجعلها دارا لملكه.(أنظر: السلاوي، المصدر السابق، ج1، ص91؛ ابن عذارى، المصدر السابق، ج1، ص252،253).

[4]- المنصور محمد بن أبي عامر: ولد جنوب الأندلس في مدينة تركش في الجزيرة الخضراء سنة 326هـ، انتقل إلى قرطبة لطلب العلم، وعمل فيها أجيرا، تطوع في شرطة قرطبة، ثم أصبح قائدا لها سنة 365هـ، عين وزيرا وحاجبا لهشام المؤيد بالله سنة 367هـ، سنة بعدها استأثر بحكم الأندلس ، وملكها بحزم وعزم، وتوسعت الفتوحات في زمنه، توفي سنة 392هـ، في مدينة سالم، وهو في طريق العودة من غزوة في شمال الأندلس. (أنظر: طارق السويدان، المرجع السابق، ص217).

[5]- جودت عبد الكريم، الأوضاع الاقتصادية، ص217.

[6]- البكري، المصدر السابق، ص171.

[7]- ابن سعيد المغربي أبي الحسن علي بن موسى، كتاب الجغرافيا، تح: اسماعيل العربي، ط1، منشورات المكتب التجاري للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 1970، ص113.

الواحد من الملح يباع بولاتة[2] بعشرة مثاقيل[3] الى ثمانية مثاقيل من الذهب، ويصل سعره في مالي الى ثلاثين مثقالا، وقد يصل الى اربعين[4].

لقد كانت تجارة الملح تدر أرباحا كبيرة على أصحابها، ويشير البكري وجود الملح بين مدينتي سجلماسة و أودغست، حيث يتجهز به إلى سجلماسة وغانة وسائر السودان " والعمل فيه متصل والتجار إليه متسايرون وله غلة عظيمة"[5].

إضافة الى الملح، فقد وصل بلاد السودان سلع أخرى مثل الحجارة الكريمة التي كانت توجد شمال تادمكة[6] وهي مطلوبة بدرجة كبيرة في غانا، وكانوا يدفعون فيها كثيرا[7]، ومن أغمات كانت تحمل بعض الصناعات الخفيفة والمعادن، كالنحاس الأحمر، والأكسية، وثياب الصوف، والعمائم، والأصداف، والأحجار، والعطور، وصناعات حديدية أخرى[8]، ومن سبتة ومرسى الخرز كانت تُحمل النظم والأصداف والأحجار الكريمة الى بلاد السودان[9]، كما اشتهرت غدامس بصناعة الجلود وحمله الى تادمكة، ومنه الى مختلف بلاد السودان[10]،

---

(1)- تغازي: يسميها الحسن الوزان تغزة، وهي مكان مأهول، فيه عدد من مناجم الملح تشبه مقالع الرخام، يحملونه إلى تمبكتو التي تبعد عنها بمسيرة شهرين، وبين تغازي ودرعة شهرين أيضا.(أنظر: الحسن الوزان، المصدر السابق، ج2، ص108).

(2)- ولاتة: يذكرها ابن بطوطة بإيوالأتن، وهي ممن بلاد السودان، قريبة من بلاد المغرب، بينها وبين سجلماسة مسيرة شهرين، وبينها ومالي أربع وعشرون يوما.(أنظر: ابن بطوطة محمد بن عبد الله اللواتي(ت779هـ/1377م)، رحلة ابن بطوطة المسماة: تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، تح: عبد الهادي التازي، مج4، دط، أكاديمية المملكة المغربية، الرباط، المغرب، 1417هـ/1997م ، ص245،247).

(3)- المثقال: يساوي وزن اثنين وسبعين حبة من حبات الشعير المتوسطة الحجم، والمثقال حوالي أربع غرامات من الذهب.(أنظر: محمد بن ساعو، التجارة والتجار في المغرب الإسلامي القرن (07-10هـ/ 13-15م)، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الوسيط، جامعة الحاج لخضر، باتنة، 2014-2015م. ، ص59).

(4)- ابن بطوطة، المصدر السابق، مج4، ص241.

(5)- البكري، المصدر السابق، ص171.

(6)- تادمكة : مدينة في بلاد السودان، أشبه بلاد الدنيا بمكة، وهي منيعة كبيرة أهلها مسلمون، وبين تادمكة وغانة خمسين مرحلة، وبينهما مدن وعمائر من بلاد السودان.(أنظر، الحميري، المصدر السابق، ص129).

(7)- البكري، المصدر السابق، ص182.

(8)- الإدريسي، المصدر السابق، ج1، ص232،.

(9)- حمد محمد الجهيمي، العلاقات التجارية بين مملكة غانا وبلاد المغرب فيما بين القرنين الثالث والخامس الهجريين السابع والحادي عشر الميلاديين، جامعة عمر المختار، درنة، ليبيا، ص15.

(10)- المرجع نفسه، ص297.

وقد كان المغرب يصدر الى الأندلس ما تجود به أرضه، حيث صدر إليه معدن النحاس التي اشتهرت به مدينة داي[1] والسوس الأقصى[2]، والرخام من تونس وقرطاجنة وإفريقية[3].

وكان التجار المغاربة يصدرون مرجان مرسى الخرز، والصوف الى المشرق مقابل حليهم، وزد على ذلك القمشة والحرير والكتان والقرنفل والمسك والحجارة النفيسة[4].

ويذكر أن تجار الروم كانوا يشترون الصوف والزيت والشمع من بجاية، إضافة إلى المرجان[5]، كما كان قصب السكر والذي ازدهرت زراعته بين القرن العاشر ،والثالث عشر الميلادي في المنطقة الساحلية من خليج قابس من الصادرات المهمة إلى الجمهوريات الإيطالية، كما تولى البنادقة شراء الملح من طرابلس وتونس بامتياز خاص لهم دون غيرهم، بموجب معاهدات خاصة، وقد كان يحمل من قصر صالح بالقرب من طرابلس وجزيرة جربة، ويصدر إلى جنوة والمدن الأوروبية الأخرى[6]، ويصدر الزيت الصفاقسي إلى البلاد الأوربية ومن ضمنها إيطاليا[7]، وتصدر الماشية إلى جنوة[8]، كذلك تم تصدير التمور من بلاد المغرب الى جنوب إيطاليا[9].

2- الواردات:

2-1 الواردات من بلاد السودان: إن الحديث عن طبيعة الواردات القادمة من بلاد السودان الى بلاد المغرب يقودنا مباشرة الى الحديث عن معدن الذهب، مصدر ثروة أهل السودان وتجارهم، وقد اهتم الجغرافيون والرحالة

---

[1]- داي : مدينة صغيرة لكنها كثيرة العامر، والقوافل عليها صادرة واردة، وهي في أسفل جبل خارج من جبل درن، بينها وبين تادلة مرحلة.(أنظر: الإدريسي، المصدر السابق، ج1، ص241).

[2]- الزهري، المصدر السابق، ص117؛ مجهول، الاستبصار، ص212،213.

[3]- فايزة العمري و ريمة عمران، التجارة في الأندلس من العهد الأموي إلى عهد الموحدين القرن2-7هـ/8-13م، رسالة مقدمة لنيل شهادة الماستر في تاريخ المغرب الإسلامي الوسيط، جامعة آكلي محند اولحاج، البويرة، 2014-2015.ص211.

[4]- علاوة عمارة، دراسات في التاريخ الوسيط للجزائر والغرب الإسلامي، دط، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، دت، ص143،144.

[5]- جودت عبد الكريم، الأوضاع الاقتصادية، ص221.

[6]- مريم جبودة، المرجع السابق، ص145.

[7]- البكري، المصدر السابق، ص20.

[8]- عزالدين أحمد موسى، النشاط الاقتصادي في المغرب الإسلامي خلال القرن السادس الهجري، ط1، دار الشرق، بيروت، 1403هـ/1983م،ص327.

[9]- البكري، المصدر السابق، ص20.

المسلمون بذهب السودان اهتماما كبيرا، من خلال ذكره ما تناولته مؤلفاتهم من وصف دقيق لأماكن تواجده وكيفية وتوقيت استخراجه[1].

ويتصدر معدن الذهب قائمة السلع التي تصل الى المغرب، وسميت عملية التبادل التي تتم قرب مناجم الذهب بتجارة الذهب الصامتة[2]، ولقد شكل الذهب السلعة الرستمية الأولى في تجارة تاهرت مع بلاد السودان[3]، كما كان أهل وارجلان والمغرب الأقصى يستوردونه من بلاد نقارة[4]، ويؤكد ذلك الإدريسي لما ذكر أكثر من كان يشتري الذهب من نقارة " أهل وارقلان وأهل المغرب الأقصى"[5]، وكان الذهب يدخل إلى إقليم طرابلس من أودغست التي كان يتردد عليها التجار النفوسيون مثل أبي رستم النفوسي، فأودغست ذات ذهب وفير حتى أن سكانها يتبايعون به، فهو يخرج منها في هيئة الذهب الإبريز الخالص خيوطاً مفتولة"[6]، وعرفت قسنطينة بدورها الهام في تجارة الذهب القادم من بلاد السودان[7].

لقد كانت كمية الذهب المصدرة الى بلاد المغرب ضخمة جدا إذ تتراوح بين 4 و9 طن سنويا، أو 3 طن في السنة كأدنى تقدير لها، وقد كانت هذه لكمية تتغير بتغير الأوضاع السياسية، وأحوال الطرقات[8].

---

[1]- يصف ابن الفقيه ذهب غانا بأنه ينبت في الرمل كما ينبت الجزر، وأشار الى توقيت استخراجه فقال:" ويقطف عند بزوغ الشمس". (أنظر: ابن الفقيه أبي عبد الله أحمد بن محمد بن إسحاق الهمذاني(ت340هـ/951م)، كتاب البلدان، تح: يوسف الهادي، ط1، عالم الكتاب، بيروت، 1416هـ/1996م، ص138)؛ وجعل البكري أفضل الذهب في بلاد غانة ويذكر مدينة كوغة كأكثر بلاد السودان ذهبا الى جانب مدينة غيارو.(أنظر: البكري، المرجع السابق، ص176،179).

[2]- تجارة الذهب الصامتة : ويسميها بوفيل بالمقايضة الخرساء، وتتم مع جماعة خفية، وامتناع الجماعة الخفية عن التخلي عن ذهبها مقابل أي شيء عدا الملح كان من أبرز خصائصها، وهذه المبادئ يفرضها أناس مجهولون وفي حالة بدائية تماما، حيث ينبغي أن يتقبلها بدون منقاش جميع الذين يدخلون هذه التجارة. (أنظر: بوفيل، تجارة الذهب وسكان المغرب الكبير، تر: الهادي أبو لقمة ومحمد عزيز، ط2، جامعة قاريونس، بنغازي، 1988م، ص269).

[3]- جودت عبد الكريم، الأوضاع الاقتصادية، ص224.

[4]- نقارة : مدينة في بلاد السودان، بينها وبين غانة ثمانية أيام، وهي جزيرة طولها ثلاث مائة ميل، وعرضها مائة وخمسون ميلا.(أنظر: الإدريسي، المصدر السابق، ج1، ص24).

[5]- الإدريسي، المصدر السابق، ج1، ص24.

[6]- البكري، المصدر السابق، ص159.

[7]- كاربخال، المصدر السابق، ج3، ص11.

[8]- بغداد عربي، المرجع السابق، ص295.

وإلى جانب الذهب كانت تجارة الرقيق تمثل إحدى السلع التجارية المهمة التي يستجلبها تجار المغرب من بلاد السودان، إذ شكل البحث عن العبيد الدافع الأساسي بعد الذهب، واعتبر من أشهر التجارات بين الشمال والجنوب، حيث أقبل التجار الوافدون من المغرب على اقتناء العبيد الذين تزخر بهم أسواق بلاد السودان، وذكر الإدريسي في معرض حديثه عن مدينة لملم[1] أن أهل سلا وغانة وتكرور يغيرون على هذه البلاد، ويسبون أهلها ويجلبونهم إلى التجار الداخلين إلى بلادهم، فيخرجهم التجار إلى سائر البلاد[2]، وكانوا يبيعونهم بأبخس الأثمان[3]، كما اعتبر جبل نفوسة في إقليم طرابلس مركزا مهمًا لتجارة العبيد مع بلاد السودان، فيذكر البكري أن أبارستم النفوسي كان من تجار أودغست التي كان "بها سودانيات طباخات تباع الواحدة منهن بمائة مثقالٍ أو أكثر"[4]، كذلك كان في مدينة بجاية سوقاً مهمة للعبيد، فقد حدثنا الغبريني (ت704هـ/1304م) عن بيع السود في حومة المذبح حيث كان أسرى القرصنة من البيض أقل ثمناً من السود إذ قال: "وبلغ الحال من كثرة سبي الآدميين أن يباع بيضا وان من الروم بسوداء من الوحش"[5]، وقد اشتهر أهل المغرب الأقصى بشراء الخدم والعبيد من بلاد السودان، حيث يذكر أنهم يسافرون الى بلاد تكرور بالصوف والنحاس والخرز، ويخرجون منها بالتبر والخدم[6].

ومن السلع الأخرى التي كان يستوردها المغاربة معدن الشب الذي كان متوفرا في بلاد السودان، بالإضافة إلى العسل، والصمغ، وريش النعام[7]، والعاج، و أنياب والفيلة، والجلود الشركسية[8]، كما جلبت التوابل الغانية والعنبر من سواحل البحر المحيط، منطلقة من أودغست[9].

---

[1]- لملم : مدينة في بلاد السودان، في الجنوب من بريسي، بينهما عشرة أيام، وبلادهم وجملة عماراتهم على واد يمد النيل، وليس بعد مدينة لملم في جهة الجنوب عمارة تعرف.(أنظر: الحميري، المصدر السابق، ص511).

[2]- الإدريسي، المصدر السابق، ج1، ص19.

[3]- الوزان، المصدر السابق، ج2، ص164.

[4]- البكري، المصدر السابق، ص158،159.

[5]- الغبريني أبو العباس أحمد بن أحمد بن عبد الله(ت704هـ/1304م)،عنوان الدراية فيمن عرف منم العلماء في المائة السابعة ببجاية (644هـ/704هـ)، تح: عادل نويهض، ط2، دار الآفاق الجديدة، بيروت، لبنان، 1989م، ص45.

[6]- الإدريسي، المصدر السابق، ج1، ص18؛ بغداد عربي، المرجع السابق، ص301

[7]- الهادي مبروك الدالي، التاريخ السياسي لإفريقيا ما وراء الصحراء من نهاية القرن الخامس عشر إلى بدايةالقرن الثامن عشر، ط1، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، 1999م، ص323.

[8]- الزهري، المصدر السابق، ص118.

[9]- البكري، المصدر السابق، ص159.

2-2 الواردات من الأندلس: تعد المنتجات الزراعية و الحيوانية أهم ما يرد بلاد المغرب قادما من الأندلس وهي متنوعة، كالصوف الرفيع الثمن، والأصباغ، والقطن[1]، أما الثمار والفواكه فالأندلس أسعد بلاد الله بكثرتها، خاصة في سواحلها[2]، واشتهرت مالقة بتصدير فاكهة الرمان والتين[3]، والأكيد أنه حمل الى بلاد المغرب نظرا لقرب المسافة، أما التين والجوز فيجلبان منها ومن أحوازها الى بلاد المشرق والمغرب[4].

ومن صادرات الأندلس الحيوانية الى المغرب الغنم والبقر، المجلوب من طليطلة[5]، حيث كانوا يصدرون الفائض منه الى سائر البلدان[6].

ومن المعادن والمصنوعات التي كانت تجلب الى بلاد المغرب ما ذكره المقري(ت1041هـ/1632م): "ويصنع في مرسيه من الأسرَّة المرصعة ، والحصر الفتانة الصنعة، وآلات الصفر والحديد من السكاكين والأمقاص المذهبة وغير ذلك من آلات العروس والجندي ما يبهر العقل ومنها تجهز هذه الأصناف إلي بلاد إفريقية وغيرها"[7]، ومن المرية كانت تجلب المنسوجات الحريرية الفاخرة، والديباج، والسقلاطون وغيرها من المنتوجات التي كانت تقصدها المراكب من سائر البلاد[8]، و الورق و السجاد[9]، وكان معدن الزئبق المستخرج من أحواز قرطبة يتفرق على جميع المغرب[10]،

2-3 الواردات من المشرق: إن أهم ما كانت تستورده بلاد المغرب من بلاد المشرق المنسوجات الكتانية من مصر حيث ذاعت شهرة كتان مصر ومنسوجاته الرفيعة، والمنسوجات الحريرية[11]، ويذكر الإصطخري أن بلاد

---

(1)- ابن حوقل، المصدر السابق، ص109.

(2)- المقري أحمد بن محمد التلمساني(ت1041هـ/1632م)، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تح: إحسان عباس، ج1، دط، دار صادر، بيروت، لبنان، 1408هـ/1988م، ص144-140.

(3)- الإدريسي، المصدر السابق، ج2، ص565،570؛ الحميري، المصدر السابق، ص517.

(4)- المقري، المصدر السابق، ج1، ص150،152.

(5)- طليطلة: مدينة كبيرة بالأندلس على شاطئ نهر تاجة، تقع شرق قرطبة، بينها وبين قرطبة سبعة أيام للفارس، سقطت في أيدي النصارى سنة 477هـ.(أنظر: الحموي، المصدر السابق، مج4، ص39،40).

(6)- الإدريسي، المصدر السابق، ج2، ص552.

(7)- المقري، المصدر السابق، ج1، ص168.

(8)- الحميري، المصدر السابق، ص538.

(9)- جودت عبد الكريم، الأوضاع الاقتصادية، ص222.

(10)- المراكشي، المصدر السابق، ص228.

(11)- مريم جبودة، المرجع السابق، ص111.

فارس كانت تصدر ثياب الكتان، والثياب القطنية، ومختلف العطور إلى بلاد الاسلام كلها[1]، وكان الورق من صادرات مصر الى مختلف البلاد الاسلامية، والتي من بينها المغرب على الأرجح[2]، ومن المنتوجات الزراعية جلب تجار المغرب من المشرق أنواعا من الحبوب كالعدس، والفول، واللوبيا، والعلف، والبرسيم، والجزر، والثوم، والبصل، وغيرها[3]، بالإضافة الى التوابل، والعطور، والبخور التي كانت تأتي من أسواق الشرق عن طريق ميناء عيذاب[4]، ثم منها إلى مدينة الفسطاط، ثم إلى الإسكندرية، حيث ينقلها التجار المغاربة إلى أوربا وبلادهم[5]، ومن المنتجات التي يرجح أن الفاطميين استوردوها من المشرق، السيوف اليمانية، فقد ظهرت عند المنصور[6] الفاطمي[7].

2-4الواردات من أوربا: تستورد بلاد المغرب من أوربا المنسوجات و الألبسة الصوفية من مختلف الأنواع، حيث تجلب لها الأقمشة الرقيقة والصوفية والحريرية[8]، ويعتبر الخشب من أهم المستوردات من جنوب ايطاليا نحو المغرب، الخام منه والمنشور على حد سواء[9]، ولم تقتصر تجارة الرقيق على السود فقط، بل كانوا يجلبون من أوربا أيضا، فعلى قلتهم في بلاد المغرب، إلا أن هنالك إشارات تدل على وجودهم، حيث تعتبر جنوة أشهر من عرف بتجارة الرقيق بنوعيه الأبيض والأسود، حيث كانت تحصل على الأبيض منه من مستعمراتها في البحر الأسود[10] وأورد ابن خرداذبة قائمة بالمنتجات التي تحمل من أوربا عبر الأندلس إلى المغرب وذكر منها الخدم الصقالبة، والروم، والإفرنجيون، واللمبرديون، والجواري الروميات[11].

---

[1]- الإصطخري، المصدر السابق، ص153.

[2]- القلقشندي أبي العباس أحمد(ت821هـ/1418م)، صبح الأعشى، ج2، دط، المطبعة الأميرية، القاهرة، 1322هـ/1914م، ، ص517.

[3]- القلقشندي، المصدر السابق،ج3، ص311،312.

[4]- مرسى عيذاب: جزيرة ليست بالكبيرة، وهي محط السفن من جدة من التجار وغيرها، وهي تقابل من الصعيد الأعلى مدينة قوص وقفط، وبينها وبين قفط في البر خمس مراحل لا ماء فيها إلا في موضعين.(أنظر: الحميري، المصدر السابق، ص423).

[5]- لويس ارشيبالد، القوى البحرية والتجارية في حوض البحر المتوسط (500-1100م)، دط، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، دت، ص252.

[6]- المنصور الفاطمي: اسماعيل بن القائم بأمر الله بن عبد الله المهدي، ثالث خلفاء الفاطميين بالمغرب، بايع له أبوه القائم بأمر الله في حياته، و ولاه حرب أبي زيد، توفي سنة (341هـ/952م). (أنظر: عبد الحميد حسين حمودة، المرجع السابق، ص391).

[7]- جودت عبد الكريم، الأوضاع الاقتصادية، ص232.

[8]- الوزان، المصدر السابق، ج1، ص241؛ محمد بن ساعو، المرجع السابق، ص161.

[9]- بغداد عربي، المرجع السابق، ص217.

[10]- المرجع نفسه، ص211.

[11]- ابن خرداذبة (عاش في القرن 3هـ/9م)، المسالك والممالك، دط، مطبعة بريل، ليدن، 1889م،ص92.

المطلب الثاني: الطرق والمسالك التجارية.

هي مجموعة الطرق والمسالك التجارية الداخلية والخارجية، البرية والبحرية، التي تربط مدن المغرب ببعضها البعض، وتربط الموانئ والمراكز التجارية المغربية بالمراكز التجارية خارج بلاد المغرب.(أنظر الملحق رقم 1، ص104).

1ـ **الطرق والمسالك الداخلية:** وهي الطرق التجارية التي تربط مدن المغارب الثلاث، وهي نوعان:

1-1 الطرق البرية:

أولا: الطريق الساحلي: كان الطريق الرئيسي أيام البيزنطيين، والفاتحين المسلمين الأوائل[1]، وقد سماه ابن عبد الحكم بالطريق الأعظم[2]، بينما أطلق عليه البكري طريق الجادة[3]، ينطلق هذا الطريق من مدينة برقة، أول محطة في الطريق بين مصر و القيروان، مرورا بعدة مدن كأجدابية، و أوجلة، وسرت، وطرابلس، الى تونس عبر قابس، وصفاقس، وسوسة، ليمر بسواحل المغرب الأوسط، فيعبر مدن مرسى الخرز، بونة، جيجل، بجاية، مرسى الدجاج، جزائر بني مزغنة، تنس، وهران، ومنها الى مدينة سبتة، وطنجة آخر مدينة ساحلية في البحر المتوسط[4].

و يفقد هذا الطريق مكانته بعد تغير مراكز الإنتاج إلى المناطق الداخلية، حيث أصبحت الطرق الرابطة بين أقاليم المغرب تمر عبر المدن الداخلية، إلا أن الغزو الهلالي وما نتج عنه من تخريب للعمران والمحاصيل في المناطق الداخلية، واضمحلال لأسواقها بعد أن أصبحت طرقها غير آمنة[5]، جعل الطريق الساحلي يستعيد نشاطه، فكثر استعمال الطريق الساحلي من تنس إلى طرابلس، وازدهرت مدنه تجاريا وعمرانيا، خاصة مدن بجاية، وتونس، وطرابلس[6].

---

[1]- عزالدين أحمد موسى، المرجع السابق،ص306.

[2]- ابن عبد الحكم، المصدر السابق، ج1، ص264.

[3]- البكري، المصدر السابق، ص14؛ ابن أبي زرع علي الفاسي(ت726هـ/1326م)، الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، دط، دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط، 1972م، ص18.

[4]- ابن حوقل، المصدر السابق، ص69-80؛ المراكشي، المصدر السابق، ص433-439.

[5]- المراكشي، المصدر السابق، ص432.

[6]- عزالدين أحمد موسى، المرجع السابق، ص307،308.

ثانيا: الطريق الداخلي: ظهر نشاط هذا الطريق بعد التغيرات التي طرأت على مراكز الإنتاج الزراعي والصناعي، حيث ظهرت مدن القيروان، وقلعة بني حماد، والمسيلة، وتاهرت، وفاس كمراكز تجارية هامة، ومحطات تلتقي عندها القوافل التجارية القادمة من كل الاتجاهات[1].

وتتعدد الطرق الداخلية الرابطة بين مدن وأقاليم بلاد المغرب، فهناك طريق **فاس، المسيلة، القيروان**، وقد ذكر لنا ابن حوقل هذا الطريق بنوع من التفصيل، حيث ذكر كل المدن والقرى التي تمر بها، وينطلق هذا الطريق من فاس بالمغرب الأقصى عبر نهر سبو، مرورا بجراوة أبي العيش، ومليلة، وصولا إلى فج الجبل المعروف بتازا، ومنه إلى تلمسان، فمدينة إفكان، ومنها يتفرق الطريق إلى اتجاهين، أحدهما يسير باتجاه تاهرت على بعد ثلاث مراحل، والآخر إلى مدينة المسيلة، مرورا بمعسكر، وشلف، وسوق إبراهيم، إلى تنس، ومليانة، وآشير ، ومن المسيلة يأخذ الطريق إلى القيروان ثلاث اتجاهات، الأول ينطلق من المسيلة إلى مقرة، فطبنة، إلى القيروان مرورا بباغاي، ومجانة، أما الطريق الآخر فيعبر سطيف، و ميلة، وقسنطينة، وتيجس، ومجانة وصولا إلى القيروان[2]، والطريق من فاس إلى سجلماسة ثلاثة عشر مرحلة[3]، وتربط بينهما عدة مدن، فمن فاس إلى صفروي مرحلة، ومنها إلى الأصمام مرحلة، وإلى موضع يسمى مزى مرحلة أيضا، وإلى تاسغمرت مرحلة، وبينها وبين سجلماسة ثلاث مراحل[4].

وذكر عبد الواحد المراكشي(ت669هـ/1270م) طريقا من بجاية إلى مراكش، وهو طريق ساحلي داخلي، ينطلق من بجاية عبر الساحل إلى تلمسان، مرورا بمازونة، ومليانة، وتنس، ووهران، ومن تلمسان إلى فاس عشر مراحل، ومنها إلى مكناسة الزيتون، إلى مدينة سلا على البحر المحيط، إلى مراكش[5].

1-2 الطرق البحرية:

إن طبيعة بلاد المغرب الجغرافية جعلت من الطرق البحرية الرابط التجاري بين بيئات المغرب الثلاث[6]، خاصة بوجود مجموعة من الموانئ على ساحل البحر المتوسط، من برقة حتى البحر المحيط[1].

---

[1]- عزالدين أحمد موسى، المرجع السابق، ص306.

[2]- ابن حوقل، المصدر السابق، ص84-89.

[3]- ابن حوقل، المصدر السابق، ص90.

[4]- البكري، المصدر السابق، ص146-147.

[5]- المراكشي، المصدر السابق، ص442،443.

[6]- عزالدين أحمد موسى، المرجع السابق، ص317.

وقد ذكر البكري العديد من المراسي المغربية على سواحل المتوسط كمرسى وهران، وتنس، ومرسى لقنت، وشرشال، ومرسى الدجاج، ومرسى بونة، ومرسى الخرز، ومرسى تونس، ومرسى المهدية، ومرسى طرابلس وغيرها[2]، ومما يلاحظ أن أغلب المراسي التي ذكرها البكري وابن حوقل تمركزت في المغرب الأوسط والأدنى، وهذا راجع إلى أن استخدام الشواطئ المتوسطية الشرقية أكبر منه في السواحل الغربية، وهذا راجع إلى سهولة الملاحة في البحر المتوسط مقارنة بالمحيط الأطلسي، لأن حركة الرياح الشرقية والغربية تساعد السفن، ولا تتحرك السفن في المحيط إلا مع الرياح الغربية في موسم العواصف، بالإضافة إلى تطوير مراسي السواحل الشرقية بسبب صعوبة النقل البري في البلاد الشرقية، نتيجة للغزو الهلالي[3].

ويبدو أن الطريق البحرية الأكثر أهمية والتي تربط بين مراسي وموانئ بلاد المغرب، الطريق الذي رسمه لنا المراكشي، والذي يبدأ من طرابلس، وينتهي عند طنجة، مرورا بتونس، ثم بجاية، ومنها إلى وهران، ثم إلى سبتة[4].

2- الطرق والمسالك الخارجية: ونقصد بها الطريق التي تربط تجارة المغرب بالأسواق الخارجية، ونقسمها حسب الإقليم المتجهة إليه إلى:

2-1 الطرق الرابطة بين المغرب والأندلس: لقد كانت كل الصلات التجارية، والمبادلات بين المغرب والأندلس تتم عبر البحر، وذلك راجع لتقابل العدوتين، وقرب سواحلهما، وعدم وجود حدود برية بينهما، لذا فإن الطرق بينهما بحرية فقط، وقد كانت في عدة اتجاهات، ويصف ابن حوقل هذا التقابل والتقارب فيقول: " ثم تمتد أرض الأندلس على البحر فتواجه من أرض المغرب تونس، وهكذا إلى طبرقة، و إلى جزائر بني مزغنة، إلى تنس، وإلى وهران، ....."[5].

وقد كانت هذه الطرق تربط مراسي المغرب بمراسي الأندلس، فمن ميناء إشبيلية يمتد خط بحري نحو ميناء سلا[6]، وهناك طريق يمتد من الأندلس نحو جزائر بني مزغنة، والتي يقول عنها المقدسي أنها: " على ساحل

---

[1]- ابن حوقل، المصدر السابق، ص83.

[2]- البكري، المصدر السابق، ص81-85.

[3]- عزالدين أحمد موسى، المرجع السابق، ص318.

[4]- المراكشي، المصدر السابق، ص433-439.

[5]- ابن حوقل، المصدر السابق، ص65.

[6]- الإدريسي، المصدر السابق، ج1، ص239.

البحر، مسورة، يعبر منها إلى الأندلس"[1]، بالإضافة إلى الطريق الذي يربط مرسى وهران بأشكوبرش المقابل له من بلاد الأندلس[2]، ليس ذلك وفقط بل توجد عدة موانئ أخرى تنطلق منها السفن إلى الأندلس، وكل ميناء يعتبر طريقا، فمن ميناء مرسى الفروخ تنطلق السفن نحو لورقة[3]، أما تنس فيصفها الإصطخري[4] بأنها عدوة للأندلسيين، وقد تردد على تنس تجار البيرة وتدمير، ومختلف مدن الأندلس بشكل كثيف[5]، ومرسى الدجاج، ومرسى الخرز، وميناء نكور، هي من أكثر المراسي التي كان يستعملها تجار مدينة تاهرت بالخصوص، لنقل سلعهم إلى الأندلس، وقد كانت العلاقة الجيدة التي ربطت الرستميين بالدولة الأموية في الأندلس سببا في نشاط وازدهار هذه الطرق[6].

ونظرا للعلاقة السيئة التي كانت بين الأمويين في الأندلس، والإمارة الأغلبية، والفاطميين في المغرب الأدنى، لم تعرف الطريق بين المغرب الأدنى والأندلس نشاطا بارزا حتى القرن الخامس الهجري، بعد أن أصبحت إفريقية زيرية[7]، وأشار ابن سعيد إلى أن ميناء طبرقة كان يعج بالتجار الأندلسيين[8]، بالإضافة إلى المهدية التي كانت خطا للسفن التجارية القادمة إليها من مختلف الأقطار[9].

2-2 الطرق الرابطة بين المغرب والسودان: تعد الطرق التجارية الرابطة بين المراكز التجارية المغربية ونظيرتها السودانية حلقة الوصل الأساسية التي حافظت على استمرار العلاقات التجارية بين المنطقتين، بل تعد مظهرا يشهد على وجودها[10].

---

[1]- المقدسي، المصدر السابق، ص228.

[2]- البكري، المصدر السابق، ص81.

[3]- المصدر نفسه، ص83.

[4]- الإصطخري، المصدر السابق، ص38.

[5]- خديجة بورملة و عبد القادر بوباية، النشاط البحري الأندلسي في حوض البحر المتوسط ودوره في نشأة وتطور المدن الساحلية للمغرب الأوسط (دراسة نماذج بعض المدن من خلال الكتب الجغرافية)، "مجلة عصور الجديدة"، العدد23، جامعة وهران، الجزائر، 1437هـ/2016م، ص134.

[6]- جودت عبد الكريم يوسف، العلاقات الخارجية للدولة الرستمية، دط، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984م، ص153.

[7]- فايزة العمري، ريمة عمران، التجارة في الأندلس من العهد الأموي إلى عهد الموحدين القرن2-7هـ/8-13م، رسالة مقدمة لنيل شهادة الماستر في تاريخ المغرب الإسلامي الوسيط، جامعة آكلي محند اولحاج، البويرة، 2014-2015، ص181.

[8]- الادريسي، المصدر السابق ، ج1، ص274.

[9]- المصدر نفسه، ج1، ص281.

[10]- نورالدين شعباني، علاقات ممالك السودان الغربي بدول المغرب الإسلامي وآثارها الحضارية (بين القرنين الخامس والتاسع الهجريين)، رسالة ماجستير في التاريخ الإسلامي، جامعة بوزريعة، الجزائر، 2006/2005م، ص104.

ويمكننا تقسيم هذه الطرقات حسب اتجاهاتها إلى ثلاث محاور رئيسية هي: بلاد الجريد[1] من جهة، و وارجلان، والزاب من جهة أخرى، وسجلماسة ونول لمطة من جهة ثالثة، كانت هذه هي الأطراف الشمالية التي تعبرها القوافل المتجهة إلى بلاد السودان، ونلاحظ أن هذا التقسيم أخذ شكلا جغرافيا كالتالي:

أولا: الطريق الشرقي: هو الطريق الذي يربط مناطق برقة، وإفريقية ببلاد السودان عبر الصحراء، ويبدأ من طرابلس، ويتجه جنوبا نحو صحراء فزان، ويمر بزويلة، ثم يسير إلى مناطق السودان الأوسط، كما يوجد فرع آخر ينطلق من طرابلس أيضا، ويمر بجبل نفوسة، إلى غدامس، وبعدها إلى تادمكة، ثم غانة في السودان الغربي[2].

ثانيا: الطريق الأوسط: يربط بلاد المغرب الأوسط بالسودان الغربي[3]، وكانت بلاد المغرب الأوسط ترتبط مباشرة بسجلماسة، فمن تاهرت كان يُسلك طريق بين القبلة والغرب إلى أوزكا، ومنها إلى سجلماسة، في مسافة تقدر بسبع مراحل[4]، وكذلك يوجد طريق يبتدأ من تاهرت، ويمر عبر تلمسان، إلى وجدة، ومنها إلى سجلماسة[5].

ويوجد طريق آخر غير الذي يسلك سجلماسة، وهو الطريق الذي يسير باتجاه الصحراء جنوبا، ويمر عبر بسكرة، و وارجلان، إلى تادمكة، وبعدها يسير في الطريق إلى كوكو، إلى أن يصل غانة في السودان[6].

ثالثا: الطريق الغربي: ينطلق هذا الطريق من مدن المغرب الأقصى إلى سجلماسة، حيث يبتدأ من فاس، ويمر عبر صفروي، إلى الأصمام، ثم إلى مزى، ومنها إلى تاسغمرت، وصولا إلى سجلماسة، ومن سجلماسة إلى غانة من بلاد السودان، مسيرة شهرين في صحراء غير عامرة[7].

ويشير صاحب الاستبصار إلى أن بين أودغشت وسجلماسة خمسين مرحلة، ومن أودغشت إلى غانة عشرين مرحلة[1]، في حين قدر الحميري الطريق بين أودغشت وغانة إلى اثنا عشرة مرحلة، وبينها و ورجلان إحدى وثلاثون مرحلة[2].

---

[1]- الجريد: إقليم كبير في بلاد المغرب، يمتد من تخوم بسكرة إلى تخوم جزيرة جربة، ويبعد جزء كبير منه عن البحر المتوسط، كقفصة وتوزر، وهذا الإقليم شديد الحرارة والجفاف، يمتاز بجودة تموره.(أنظر: الوزان، المصدر السابق، ج2، ص142).

[2]- البكري، المصدر السابق، ص05-15؛ نورالدين شعباني، المرجع السابق، ص110.

[3]- نورالدين شعباني، المرجع السابق، ص108.

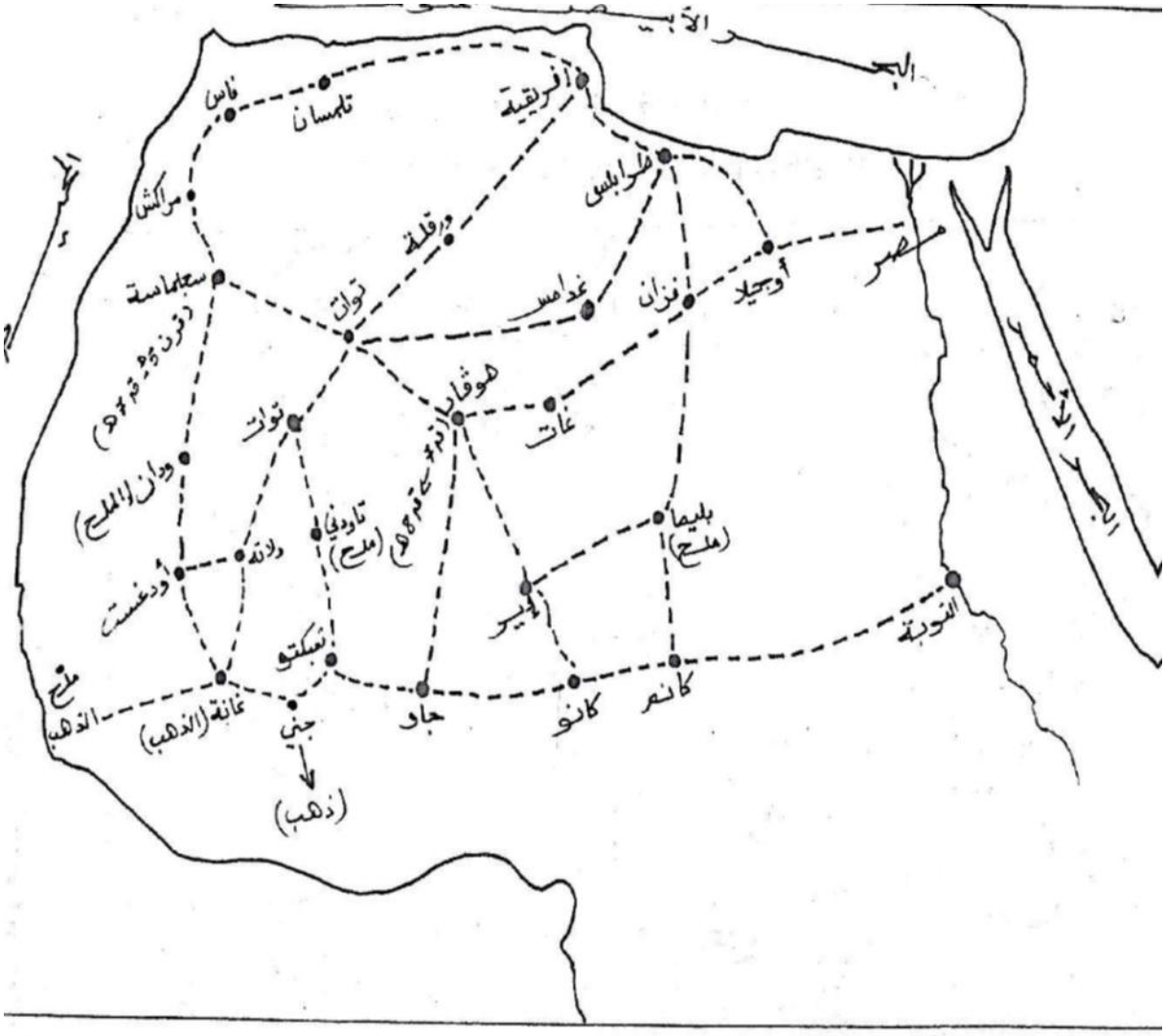
[4]- جودت عبد الكريم، الأوضاع الاقتصادية، ص208.

[5]- البكري، المصدر السابق، ص87،88.

[6]- نفس المصدر، ص182،183.

[7]-البكري، المصدر السابق، ص147،148،149.

بالإضافة إلى ذلك يوجد طريق آخر يربط مناطق السوس في المغرب الأقصى، بمدينة غانة وباقي المدن السودانية، وقد أشار إليه ابن الفقيه، حيث قال:" مدينة طرقلة، إلى مدينة غانة مسيرة ثلاثة أشهر مفارز وغفار"[3].



أهمّ طرق القوافل خلال القرنين 5 و8هـ/ 11 و14م.

خريطة توضح أهم الطرق التجارية بين بلاد المغرب والسودان الغربي خلال القرنين (5-8هـ/11-14م)[1]

[1]- مجهول، الاستبصار، ص216.

[2]- الحميري، المصدر السابق، ص63.

[3]- ابن الفقيه، المصدر السابق، ص138.

2-3 **الطرق الرابطة بين المغرب الإسلامي والمشرق الإسلامي**: بعد سيطرة المسلمين على صقلية سنة 212هـ/827م في العهد الأغلبي، ثم الفاطمي، زال الخطر السابق المتمثل في القوى البيزنطية التي تقطع الطريق بين المغرب الإسلامي ومشرقه، وأصبح البحر المتوسط تحت سيطرة المسلمين، مما نشط الخط البحري الرابط بين الطرفين[2]، ولاشك أن ذلك ساعد في تنشيط حركة التجارة، فنشأ هنالك الطريق البحري المنظم الذي يربط موانئ الشمال الإفريقي والإسكندرية عبر البحر المتوسط[3].

ويذكر ابن حوقل طريقا يربط الإسكندرية بطرابلس، يمر عبر تكريت وقبرص، متجنبا خليج قابس لما فيه من أخطار طبيعية[4]، في حين رسم لنا البكري طريقا يصل بين ميناء المهدية والإسكندرية، مارا بمجموعة من المراسي الواقعة بين المدينتين[5].

ويبدو أن المسالك البحرية بين المشرق والمغرب كانت امتدادا للطريق الرابط بين موانئ المغرب، ومنها إلى الإسكندرية، وصولا إلى مدن المشرق الأخرى[6].

المطلب الثالث: المؤسسات التجارية:

إن توفر العديد من التنظيمات والمؤسسات الضرورية ساعدت بدورها على انتعاش وازدهار الحركة التجارية، نظرا لما تقدمه من مساعدات خاصة في مجال المبادلات التجارية، ومن بين هذه المؤسسات التي كان لها دورا وأهمية كبيرة في هذا الشأن، فنجد:

1-الفنادق:

الفندق[1]عبارة عن مؤسسة متعددة الصلاحيات تضم بداخلها عدة منشآت، منها سكنية لإقامة التجار وأخرى لتخزين السلع، ومكاتب لتنظيم الفندق وتسيير الشؤون العامة للجالية، واعتبرها برونشفيك اسما

[1]- مونة شرفي، الدروب والمسالك التجارية بين فاس والسودان الغربي على العهد المريني، مذكرة تخرج لنيل شهادة الماستر في تاريخ وحضارة المغرب الإسلامي، جامعة الدكتور طاهر مولاي، سعيدة، 2015/2014م، ص57.

[2]- لويس أرشيبالد، المرجع السابق، ص112،113،211.

[3]- المرجع نفسه، ص389.

[4]- ابن حوقل، المصدر السابق، ص72.

[5]- البكري، المصدر السابق، ص84،85،86.

[6]- بغداد غربي، المرجع السابق، ص117.

إغريقياpondokeion أو pandochai عُربت فيما بعد، وهي مبان متكونة من طابقين في العادة أو أكثر فيها عدة غرف للسكنى حول ساحة مركزية وتخصص أجزاؤه السفلى لخزن السلع، ومن فرن مبتذل ومستودعات ومخازن لبيع البضائع ومكاتب القنصلية، وأماكن لتأدية العبادات والاحتفالات، وأخرى لسجن وعقاب التجار المخالفين[2].

جرت عادة التجار الأجانب، أنهم إذا دخلوا مدينة أن ينزلوا فنادقها، فيودعون بضائعهم في مستودعاتها، فتسجل في دفاتر خاصة وتضرب عليها المكوس الديوانية، وتنظم الدولة عرضها للبيع في بالمزاد العلني وبهذه الطريقة يمكن تقديرها ما يفرض عليها من مكوس[3].

وقد كان في بلاد إفريقية لكل جنسية فندق خاص بها لا يشاركها فيها أحد حيث كانت مخصصة لسكن المسيحيين، وأن عملية البيع والشراء كانت تتم تحت رقابتهم، وتكون هذه الفنادق على شكل أحياء في وسط المدينة أو خارجها، وفي الغالب يعرف الفندق باسم النازلين فيه[4]، ونظرا لما تقدمه الفنادق من خدمات للتجار النازلين جعلت منها مؤسسات اقتصادية هامة، كما أنه قد تنوعت ملكيتها بين السلطة الحاكمة والخواص، ما ساعد على انتشارها بشكل كبير في بلاد المغرب، مثل مدينة فاس التي بلغ عدد الفنادق فيها المائتي فندق، ومن الخواص فيها نجد عائلة بني فذّه التي امتلكت فندقا، غير أنه من المستبعد امتلاك الخواص للفنادق التي تحوي الأجانب من التجار المسيحيين التي كانت في غالبيتها تكون للدولة، بينما يحوز الخواص على خدمة التجار المحليين والغرباء من المسلمين فقط[5].

ولو بحثنا عن أسباب انتشار الفنادق في بلاد المغرب بشكل ملفت للنظر لوجدنا أن التجارة هي السبب الأسمى لذلك، كون الفندق مؤسسة اقتصادية تساهم في الازدهار التجاري، من إقامة للتجار الأجانب الوافدين سواء من بلاد السودان أو الضفة الجنوبية للبحر المتوسط أو حتى من أرجاء بلاد المغرب، وأنها كانت تستخدم

---

(1) . الفندق: عبارة عن مؤسسة متعددة الصلاحيات تضم بداخلها عدة منشآت منها سكنة لإقامة التجار وأخرى لتخزين السلع، ومكاتب لتنظيم الفندق وتسيير الشؤون العامة للجالية.(أنظر: مريم جبوده، المرجع السابق، ص233).

(2)– علي عشي، التوجه البحري للمغرب الأوسط وأثره في طرق التجارة والمواصلات (2-10هـ/8-16م)،أطروحة لنيل درجة دكتوراه علوم في التاريخ الوسيط، جامعة باتنة1، 2017، ص539.

(3) . جودت عبد الكريم ، الأوضاع الاقتصادية، ص243.

(4) . مريم جبوده، المرجع السابق، ص233.

(5)– محمد بن ساعو ، المرجع السابق، ص127.

كمخازن للسلع[1]، ولعل تطور تجارة مدن المغرب مرتبط بهذا النوع من المؤسسات بشكل خاص، خاصة بعدما أصبحت تستقطب عناصر أجنبية والتي توجب في المقابل دعم السلطة الحاكمة لإنشاء مؤسسات اقتصادية وتجارية كدُور صناعة السفن، الأسواق، القيساريات، والأهم بالنسبة للتجار الأجانب الوافدين، هو الاهتمام بإنشاء الفنادق التي تعتبر المأوى الوحيد لهم[2].

2-الأسواق:

إن نجاح عملية التبادل التجاري تتطلب إقامة سوق[3]، فهو يعد جوهر الحياة الاقتصادية لما يقدمه من دفع في وتيرة النشاط الاقتصادي، الذي يؤدي بدوره إلى الازدهار، والأسواق هي مواضع للبيع والشراء، بحيث تشتمل على كل ما يحتاجه الناس من سلع وبضائع قد تكون ضرورية كالحنطة، أو كمالية كالفواكه والأواني والمراكب وغيرها، كما يعتبر السوق المكان الذي تتم فيه العملية التجارية بحيث كانت نشأتها انطلاقا من فكرة التجمع الذي يتيح للناس عملية البيع والشراء، لذلك انتظمت التجارة في مراكز خصصت للتبادل السلعي[4].

جسدت الأسواق عصب الحياة الاقتصادية في المجتمع المغربي، حيث يتركز فيها النشاط الصناعي والتجاري والذي يؤدي دورا مهما في حياة المدينة بصفتها عنصرا أساسيا لازدهارها[5]، وبذلك كانت تقام الأسواق في المناطق التي بها تجمعات سكانية، من أجل التزود بما يحتاجه الناس، ولهذا كان لكل قبيلة أو قبائل متجاورة سوق محلية تجتمع فيه، وقد توجد حول كل ماء يقيم حوله الضاربون وفي المحطات التي تقع على الطرق الرئيسية التي تربط بين المدن، بالإضافة إلى الأسواق التي تقوم حولها المدن أو تقوم هي في المدن فيما بعد[6].

ولو بحثنا عن دواعي قيام السوق بغض النظر عن ضرورة تزود أفراد المجتمع بما يحتاجونه من مواد وسلع، نجد أيضا اشتهار ناحية ما أو مدينة بسلعة معينة أو وجود فائض في الإنتاج، الأمر الذي يستدعي إقامة سوق

---

[1]- دومة شهيرة و لغواطي اسمهان، العلاقات التجارية بين مملكة أراغون ودول المغرب الإسلامي خلال القرنين7-8هـ/13-14م، مذكرة لنيل شهادة الماستر في تاريخ الغرب الإسلامي في العصر الوسيط، جامعة المدية، 2018/2019م، ص90.

[2]- نعيمة عميروش، الفنادق ودورها التجاري، الملتقى الدولي: الموانئ الجزائرية عبر العصور سلما وحربا، مخبر البناء الحضاري، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة الجزائر2، الجزائر، 2009م، ص473.

[3]- المرجع نفسه، المرجع السابق، ص36.

[4]- محمد بن ساعو ، المرجع السابق، ص112.

[5]- مريم جبودة، المرجع السابق، ص174.

[6]- جودت عبد الكريم ، الأوضاع الاقتصادية، ص134،135.

لتصرف فيه تلك السلعة من قريب أو بعيد، هذا وبالإضافة إلى توفر الأمن الذي يعتبر عاملا أساسيا لقيام السوق وجذب التجار من الأماكن البعيدة، لذلك كانت هذه الأسواق تُقام أحيانا في الحصون أو في نطاق دائرة أمير يكون قادرا على توفير الأمن والحماية ، ليحصل هذا الأخير على امتيازات في المقابل، فمثلا تجار الأندلس لم يتمكنوا من النزول إلى تنس إلا بعد أن عاهدتهم القبائل الضاربة هناك على حسن الجوار والرعاية والحماية[1]، ولما نقول الرعاية نعني بها احتياجات الفرد المقيم بعيدا عن أهله كتوفير الفنادق ومخازن السلع مثلا، ومن أنواع السوق نذكر:

2-1: الأسواق اليومية: هذا النوع من الأسواق التي كانت متواجدة بصفة دائمة في كل المدن التي تعج بمختلف السلع والمتاجر، وقد جاء في حديث الإدريسي عن الطريق من مدينة بجاية نحو القلعة مرورا بحصن تاكلات الذي به سوق دائمة[2]، وقد ضمت هذه الأسواق مختلف الصنائع وأصحاب الحرف كالصباغين، والخبازين، وباعة الألبان، ولكل منها مكان مخصص في السوق، أو سوق خاص بها[3]، مثل مدينة فاس التي احتوت على 9082 حانوتا، و 47 دارا لصناعة الصابون، و116 دارا للدباغين، إضافة إلى مدينة سبتة التي بلغ عدد الأسواق فيها 174 سوقا، و24000 حانوتا[4]، كما أن الأسواق في بلاد المغرب الإسلامي كانت تتواجد في أي مدينة سواء عظم قدرها أو صغر، كمدينة تاهرت التي بها أسواق عامرة[5]، وجزائر بني مزغنة كثيرة الأسواق هي الأخرى[6].

2-2: الأسواق الأسبوعية: وهي النوع الثاني للأسواق، وغالبا ما تعرف باسم اليوم الذي تُقام فيه، وتكون في أيام معلومة من الأسبوع، مثل سوق الخميس، وسوق الاثنين[7]، إضافة إلى أنها كانت تأخذ أحيانا اسم المكان أو المدينة التي تنصب فيها، كسوق كرناية الواقع على نهر شلف، والذي يقام كل جمعة، وسوق ريغة

---

[1]- جودت عبد الكريم، الأوضاع الاقتصادية، ص134.

[2]- الإدريسي ، المصدر السابق، ج1، ص262.

[3]- قدور وفاء، الأسواق في الغرب الإسلامي في عهدي المرابطين والموحدين484-668هـ، مذكرة مكملة لنيل شهادة الماستر في التاريخ الوسيط والحديث، جامعة الشهيد حمه لخضر- الوادي،2016/2015م، ص30.

[4]- محمد زنير ، المغرب في العصر الوسيط. الدولة. المدينة. الاقتصاد، تن: محمد المغراوي، ط1، منشورات كلية الآداب بالرباط، 1999م، ص173،176.

[5]- جودت عبد الكريم يوسف ، الأوضاع الاقتصادية، ص139.

[6]- ابن حوقل، المصدر السابق، ص78.

[7]- الإدريسي، المصدر السابق، ج1، ص262،263.

الذي يجلب إليه كل لطيفة ويباع فيه كل طريفة[1]، وسوق أغمات الأسبوعي الذي يقام يوم الأحد، الذي عرف حيوية ونشاط تجاري كبير، وإقبال وفير من الناس، حيث كان يُذبح في هذا السوق مائة ثور، وألف شاة في اليوم الواحد، وينفذ ذلك كله[2].

2-3: الاسواق العسكرية: وهي تلك الأسواق التي تصحب الجيوش الإسلامية أثناء تنقلاتهم وغزواتهم، وفيها يقيم التجار أسواقهم وعرض مبيعاتهم قرب المراكز العسكرية[3]، وهذا ما لم يتوفر لدي الجيوش المسيحية، حيث أشار ابن خرداذبه أنه ليس لجيش الروم أسواق ترافقه، وإنما يحمل الرجل زاده من منزله طيلة رحلته سواء كان طعاما أو شرابا، أو سلاحا[4].

ويعتبر هذا النوع من الأسواق مربح نظرا لأهمية العتاد الحربي في تلك المرحلة خاصة بالنسبة لبلاد المغرب الإسلامي الذي كان درع الدولة الإسلامية من الغرب وبالإضافة إلى بلاد الأندلس وتواصل الفتوحات واتساع رقعة الدولة الإسلامية وتامين المدن المفتوحة والمراكز والطرق التجارية ، فيرافق التجار الجيوش لتزويدهم بمختلف احتياجاتهم من وسائل حربية وطعام وغيرها، ويشترون منهم نصيبهم من الغنائم بأسعار زهيدة مقارنة بالأسواق الأخرى ما يعود عليهم بالربح[5].

المطلب الرابع: الموانئ .

تميز المغرب الإسلامي بوجود عدة منافذ بحرية تربطه مع عالم البحر المتوسط، والتي لعبت دورا بارزا في مجال التجارة البحرية الخارجية، حيث استقبلت موانئه سفنا تجارية من مختلف مناطق وبلدان حوض البحر المتوسط، وساهمت بشكل مباشر في قيام مبادلات تجارية واسعة النطاق شملت سلعا متعددة ومتنوعة ليتمكن في الأخير من ربط تجارية متشبعة مع بلدان البحر المتوسط، فأين تتمركز هذه الموانئ ؟.

إن امتداد بلاد المغرب الإسلامي على طول الشريط الساحلي للبحر المتوسط، جعله يحوز على عدد كبير من الموانئ والمراسي، والعديد من المدن، ويبدو أن المؤرخين الجغرافيين قد ابدوا اهتماما كبيرا حول هذا الموضوع،

---

[1]-الإدريسي، المصدر السابق، ج1، ص252،253.

[2]- البكري، المصدر السابق، ص153.

[3]-عزالدين أحمد موسى، المرجع السابق، ص293.

[4]- ابن خرداذبه، المصدر السابق، ص112.

[5]- قدور وفاء، المرجع السابق، ص39.

خاصة في حديثهم عن الطرق التي تربط بين بلاد المغرب والعالم الخارجي، وقد ذكر في ذلك ابن حوقل:" وأما المغرب فبعضه ممتد على بحر المغرب في غربيه ولهذا البحر جانبان شرقي وغربي، وهما جميعا عامران، وأما الغربي فمن مصر وبرقة إلى إفريقية وناحية تنس إلى سبتة، وطنجة"[1]، ومن أشهر الموانئ في سواحل بلاد المغرب الإسلامي نذكر:

ميناء طرابلس: والذي حظي بموقع جغرافي متميز بين بلاد المشرق والمغرب الإسلاميين خلال العصر الوسيط، حيث يقع هذا الميناء في شمال غرب ليبيا، وما زاد في أهميته وقوعه في الجهة البحرية المواجهة لدول غرب أوربا، فالمسافة بين ليبيا ومالطة والمدن الإيطالية (جنوة، بيزا، البندقية)، وفرنسا أقصر من المسافة بين الموانئ الليبية الأخرى ، ما أكسبه مكانة اقتصادية بارزة في النشاط التجاري على الصعيدين الداخلي والخارجي[2]، خاصة وأنه سهل الوصول إليه، وأن بعضه محاط بصخور طبيعية في شكل نصف دائرة، ما جعله منافسا لأروع موانئ البحر المتوسط[3]، ويقول البكري في حديثه عن مدينة طرابلس :"...ومرساها مأمون من أكثر الرياح..."[4] وقد استُخدم كموقع لتمويل وتجميع انطلاق الحملات البحرية خلال الفتوحات الإسلامية، فضلا عن نشاط حركة تجارة القوافل مع إفريقيا الذي تربطه بها عدة طرق برية[5].

ميناء تونس: لم يكن الغرض من إنشاء هذا الميناء في البداية تجاريا، كونه أول ميناء أنشأه المسلمون في بلاد المغرب بعد الفتح الإسلامي، وذلك أيام حسان بن النعمان الذي بناه بهدف القضاء على قوة الروم وميناءهم، وتعزيز القوات من جهة البحر بإنشاء دار لصناعة السفن بجانب الميناء[6]، إلا أنه ومع مرور الوقت، وبسبب موقعه الهام شكل هذا الميناء ملجأ آمنا للسفن من الرياح، والأمواج العاتية، ما ساعد في جذب السفن التجارية والتجار من مختلف الأقطار إلى تونس، خاصة في العهد الحفصي باعتبارها حاضرة الدولة[7]،

---

[1]- ابن حوقل، المصدر السابق، ص 64.

[2]- معمر الهادي القرقوطي، دور ميناء طرابلس الغرب الاستراتيجي في العصر الإسلامي، الملتقى الدولي: الموانئ الجزائرية عبر العصور سلما وحربا، مخبر البناء الحضاري، كلية العلوم الإنسانية و الاجتماعية، جامعة الجزائر2، 2009م، ص73.

[3]- مريم جبودة، المرجع السابق، ص88.

[4]- البكري ، المصدر السابق، ص189.

[5]- معمر الهادي القرقوطي، المرجع السابق، ص74.

[6]- مؤنس حسين، معالم، ص57.

[7]- مريم جبودة، المرجع السابق، ص90.

ميناء بجاية: تقع مدينة بجاية فوق سطح جبل مطل على ساحل البحر المتوسط في خليج مفتوح، ما أتاح لها ذلك إنشاء ميناءً صالحا لرسو السفن، وقد استقبل ميناء بجاية العديد من السفن التجارية الوافدة من مختلف الأمصار كسفن الروم، والمسلمين من مصر، وغيرها[1]، كما أنه مأمون من مختلف الأخطار الطبيعية كالرياح، والأمواج[2]، وفي حديث الإدريسي عن مدينة بجاية قال:"... والسفن إليها مقلعة وبها القوافل منحطة، والأمتعة إليها برا وبحرا مجلوبة .."[3]،

ميناء وهران: يقع هذا في القسم الغربي من المغرب الأوسط، كما يعتبر أحد أهم المنافذ البحرية لبلاد المغرب الإسلامي، وملتقى العديد من التجار، والتجارات من مختلف الأجناس، إضافة إلى أنه استُخدم كمستودع للتموين بالسلع المستوردة من أوربا، إذْ أنّ من مميزات هذا الميناء أنه سهل الوصول إليه، والإرساء فيه[4].

جاء في حديث ابن حوقل عن مدينة وهران أن بها مرسى كبير في غاية الصون والسلامة من كل ريح، وما أظن أن له مثلا في جميع نواحي البربر سوى مرسى موسى[5].

ميناء سبتة: احتوت مدينة سبتة على أقدم دور لصناعة السفن في بلاد المغرب الإسلامي، وميناءً يعتبر من أبرز الموانئ التجارية، حيث يقصده التجار من المدن الإيطالية، ومرسيليا ، يجلبون إليه المنسوجات والخردوات والخمور والأسلحة، وتشحن منه الصوف والقطن والشمع والجلود والخيول[6].

من خلال ما سبق نخلص إلى أن التجارة في بلاد المغرب ومقوماتها متعلقة بمجموعة من العوامل المؤثرة على هذا النشاط، فحجم الصادرات والواردات من وإلى بلاد المغرب الإسلامي يبين لنا حجم السلع المنتجة والمستهلكة محليا، ومنه ندرك حقيقة التجارة المغربية بصورة كاملة.

---

[1]- مريم جبودة، المرجع السابق، ص90.

[2]- البكري، المصدر السابق، ص82.

[3]- الإدريسي، المصدر السابق، ج1، ص260.

[4]- خديجة بورملة، المرجع السابق، ص120.

[5]- ابن حوقل، المصدر السابق، ص79.

[6]- مروة ريغي، المرجع السابق، ص62.

لقد ساعد توفر مجموعة من الطرق والمسالك التجارية على رواج ونشاط الحركة التجارية، والمساعدة على نقل البضائع والسلع في الإطار الداخلي والخارجي، يضاف إلى هذه العوامل، توفر المؤسسات التجارية كالفنادق والقناصل، التي اقترنت أساسا بالتجار الأجانب بالإضافة إلى توفر عدد من المراسي على طول الشريط الساحلي لبلاد المغرب الإسلامي، والتي ساهمت أساسا في التجارة البحرية بين المدن المغربية، وبين مدن المغرب ومدن الأندلس والمشرق و أوربا.

المبحث الثاني: المدينة الإسلامية في المغرب ودور التجارة في نشأتها

- المطلب الأول: مفهوم المدينة.
- المطلب الثاني: نشأة المدينة الإسلامية في المغرب وتطورها.
- المطلب الثالث: دور التجارة في نشأة المدن المغربية.

المبحث الثاني: المدينة الإسلامية في المغرب، ودور التجارة في نشأتها..

يعتبر العمران صورة مادية للتطور الحضاري لأي أمة من الأمم عبر مسارها التاريخي، والمدينة هي التي تعبر عن العمران بمفهومه الاجتماعي والمادي باعتبارها المظهر الحضاري للاجتماع البشري، ولا يختلف اثنان في أن المدينة الإسلامية عموما والمغربية خصوصا تمايزت بمجموعة من الخصائص من حيث أسباب وشروط وعوامل نشأتها بين ما هو سياسي، أو اقتصادي، أو اجتماعي.

المطلب الأول: مفهوم المدينة.

1-المفهوم اللغوي للمدينة:

إذا أردنا تعريفا لغويا للمدينة، نجد ابن منظور يذهب أن مصدرها "مَدَنَ بالمكان، أي أقام به ... ومنه المدينة ... وتجمع على مدائن، بالهمز، ومُدْنٍ، ومدُن بالتخفيف والتثقيل...وفلان مدن المدائن: كما يقال مصر الأمصار... والمدينة الحصن يبنى في أصطمة الأرض، مشتق من ذلك، وكل أرض يبنى بها حصن في أصطمتها فهي مدينة ..."[1].

ويعرفها آخرون على أنها الحصن، أو بصورة أدق المدينة الحصن، وبذلك فهي مدينة بها حصن، أو بناءات محصنة[2]، وقد أشار البحث اللغوي أن كلمة مدينة ترجع إلى كلمة دين، وأنها من أصل سامي، وأن الآكاديين[3]والآشوريين[4]أطلقوا عليها لفظ الدين، أي القانون، كما أن كلمة الديان في اللغة الآرامية والعبرية يقصد بها القاضي، وقد أشار القرآن الكريم إلى ذلك في كل المواضع التي أطلق عليها لفظ مدينة كان عليها حكام وملوك، ومالهم من سلطات قضائية، ودينية، وإدارية، وسياسية[5] .

---

[1]- ابن منظور، المصدر السابق، مج6، ج46، ص4162،4161.

[2]- البشير بوقاعدة، المرجع السابق، ص 31،30.

[3]- الآكاديين: قبائل عربية هاجرت سنة 2200 قم، بنوا موطنهم على أنقاض المملكة السومرية، على يد سرغون الأول، وسقطت على يد الكوشيين.(أنظر: شوقي أبو خليل، أطلس التاريخ العربي والإسلامي، ط5، دار الفكر، دمشق، سوريا، 2002م، ص14).

[4]-الآشوريين: قبائل عربية هاجرت حوالي 3000ق م إلى المناطق الشمالية من بلاد الرافدين، أطلق على هذه القبائل اسم الآشوريين نسبة إلى إلههم آشور، استقلوا عن الكوشيين سنة (1227/1292ق م)، كانت نهايتهم على يد الكلدانيين عام 612 ق م.(أنظر: شوقي أبو خليل، المرجع السابق، ص17).

[5]- محمد عبد الستار عثمان، المدينة الإسلامية، دط، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 1988م، ص16،15.

وباعتبار المدينة جزء من العمران، فإن الأصفهاني يرى أنها " ...نقيض الخراب، يقال: عَمَرَ أرضه يعمرها عمارة قال:{ ...**وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ...**}[1]، يقال عمرته، فعمر، فهو معمور، قال:{...**وَعَمَرُوهَا أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا...**}[2]،{ **وَ الْبَيْتِ الْمَعْمُورِ**}[3]، وأعمرته الأرض واستعمرته، إذا فوضت إليه العمارة..."[4].

2- المفهوم الاصطلاحي للمدينة:

حتى نصل إلى المفهوم الاصطلاحي الشامل والوافي للمدينة بصفة عامة، والمدينة الإسلامية بصفة خاصة، والمغربية على وجه الخصوص، وجب علينا الرجوع إلى ما أورده المسلمون من مفاهيم حولها، والتي أشارت إلى المدينة بصيغ مختلفة، وبمفاهيم تختلف باختلاف تخصصاتهم، وبذلك تجمعت لدينا مجموعة من التعاريف، منها التاريخية، والسياسية، والعمرانية، والاقتصادية.

إذا كانت المصادر التاريخية هي ملاذ المؤرخ عند استسقاء مادته التاريخية في مختلف المجالات، فإنها لم تنصف المدن بما يتلاءم ودورها الهام، وشح الأخبار عن المدن راجع الى عدة عوامل[5]، فنجد أن بعض المؤرخين خصصوا للملوك والشخصيات من الصفحات أضعاف ما خصصوه لمدن كاملة، فقد خصص عبد الواحد المراكشي للخليفة الموحدي أبو يوسف يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن[6]من صفحات[7]أضعاف ما خصصه لمدينة مراكش التي تعتبر مسقط رأس الكاتب، وعاصمة دولة المرابطين[8].

---

[1]- القرآن الكريم، التوبة، 19.

[2]- القرآن الكريم، الروم، 09.

[3]- القرآن الكريم، الطور، 04.

[4]- الراغب الأصفهاني أبي القاسم الحسين بن محمد(ت502هـ/1108م)، المفردات في غريب القرآن، تح: مركز الدراسات والبحوث بمكتبة نزار مصطفى الباز، ج1، ج2، دط، مكتبة نزار مصطفى الباز، ص451.

[5]- ابراهيم القادري بوتشيش، تاريخ الغرب الإسلامي، قراءات جديدة في بعض قضايا المجتمع والحضارة، ط1، دار الطليعة، بيروت، لبنان، 1994، ص 124.

[6]- أبو يوسف يعقوب: هو يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن بن علي الموحدي، يكنّى أبا يوسف، تولّى حكم الموحدين في حياة والده وعمره اثنان وثلاثون سنة، وحكم حتى وفاته سنة 595هـ، وكان عمره يومها ثمان وأربعون سنة. (أنظر: المراكشي، المصدر السابق، ص336).

[7]- خصص عبد الواحد المراكشي أكثر من سبع صفحات في تعريفه بأبي يوسف يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن، ذكر خلالها كنيته، واسم أمه، وتفاصيل دقيقة عن صفاته الخَلقية، كذره سمرة وجهه، وصفائه، وطوله، وجماله، وصفات حواسه، وأخلاقه، ثم ذكر أولاده وأبناء عمومته، ووزراءه ، وحجابه، وكتابه، وقضاته، وأعماله.(أنظر: المراكشي ، المصدر السابق، ص 336-341).

[8]- المراكشي، المصدر السابق، ص 345،346.

ونفس الشيء ينطبق على مجهول الحلل الموشية، فعلى الرغم من أن عنوانه يوحي بأنه مخصص لتاريخ مدينة مراكش، غير أنه لم يفرد لها سوى صفحتين يتيمتين[1].

إن هذه النظرة تتغير في كتابات ابن خلدون، الذي يولي اهتماما كبيرا بقضايا العمران، وقد خصص له كبيرا في الجزء الأول من كتاب العبر المعنون بالمقدمة[2]، لقد ربط ابن خلدون بين المدينة والدولة، فمتى قويت الدولة وطال استقرارها، زاد عمرانها واتسعت مدنها، ويقول في ذلك:" فإن كان عمر الدولة قصيرا، وقف الحل عندها عند انتهاء الدولة، وتراجع عمرانها وخرب، وإن كان أمد الدولة طويلا، ومدتها منفسحة، فلا تزال المصانع فيها تشاد، والمنازل الرحيبة تكبر وتتعدد، ونطاق الأسواق يتباعد، الى أن تتسع الخطة وتبعد المسافة..."[3]، كما ربط بين العمران البدوي والحضري، أي العلاقة بين الريف والمدينة، وذكر أن الأصل في المدينة هو التطور الحاصل للنمط الأول من العمران، فيقول: "... ولأن الضروري أصل والكمالي فرع ناشئ عنه، فالبدو أصل للمدن والحضر، وسابق عليهما، لأن أول مطالب الإنسان الضروري ..."[4]، وقال: " يتخذون القصور والمنازل (البدو)، ويجرون فيها المياه، ويعالون في صرحها، ويبالغون في تنجيدها، ويختلفون في استجادة ما يتخذونه لمعاشهم من ملبوس، أو فراش، أو آنية، أو ماعون، وهؤلاء هم الحضر، ومعناه الحاضرون أهل الأمصار والبلدان..."[5].

ومن المصادر والكتابات التي أغدقت في وصف المدن وذكر أحوالها وعوامل نشأتها وخرابها، كتابات الجغرافيين المسلمين، التي تعكس المعايير التي كانت تميز المدن عن غيرها، ويتضح ذلك من خلال مسميات المدن وأوصافها عندهم، فقد استخدموا مصطلح المدينة، ومدينة كبيرة، ومدينة متوسطة، ومدينة صغيرة، ومدينة وكورة في آن واحد، ومدينة عظيمة وولاية في آن واحد، وقصبة، ومدينة عامرة وهي قصبة، أو ناحية وهي قصبة، أو مدينة وقصبة وكورة، أو بلد وقصبة في الوقت نفسه[6].

---

[1]- مؤلف أندلسي مجهول من أهل القرن 8هـ/14م، الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية، تح: سهيل زكار و عبد القادر زمامة، ط1، دار الرشاد الحديثة، الدار البيضاء، المغرب، 1979م.، ص15،16.

[2]- يعد ابن خلدون من المفكرين الأوائل الذين نظَّروا للاجتماع البشري المتمثل في المدينة، وقد تضمن كتاب المقدمة في أغلب صفحاته بما سماه ابن خلدون العمران البشري، ووصف فيه قواعده، واهتم بالمدينة والمصر والعمران بصفة عامة.(أنظر: ابن خلدون، المصدر السابق، ج1؛ حميد الحداد، ثوابت عمرانية بين أبي الربيع وابن خلدون، العدد28، "دورية كان"، دورية الكترونية عربية، 2015م، ص137).

[3]- ابن خلدون، المصدر السابق، ج1، ص427.

[4]- نفس المصدر، ج1، ص152.

[5]- نفس المصدر، ج1، ص150.

[6]- محمد عبد الستار عثمان، المرجع السابق، ص20.

ويحدد المقدسي مفهوم المدينة بالمكان الذي يستقر فيه الحاكم، وتقوم فيه دولته بدواوينها ومختلف أعمالها ، فيقول: " وأما نحن فجعلنا المصْر كل بلد حله السلطان الأعظم، وجمعت إليه الدواوين، وقلدت منه الأعمال، وأضيفت إليه مدن الإقليم، مثل: دمشق[1]،والقيروان ..."[2]

بينما يرى القزويني أن المدينة تلك الحالة التي تضطر الإنسان إلى الاجتماع بغيره، حتى يحصل على الهيئة الاجتماعية التي يتوقف عليها المطعم والملبس، ولا يمكن تلبية حاجات الإنسان بهاذين العنصرين إلا إذا تظافرت الجهود، وتكاملت المهام، فلا يمكن للفرد أن يقوم بأمر لباسه، وهو موقوف على الحرث والغزل والنسج وغيرها من المهام الضرورية في حياة الإنسان، ثم عند حصول هذا الاجتماع، تهتم الجماعة بحفظ أبدنها من حر الصيف وبرد الشتاء، فتقوم ببناء المنازل، وتخشى من مكر اللصوص وصولة ذي البأس فتبني الأسوار والخنادق، وهكذا تنشأ المدن[3].

ولقد كان للفقهاء أيضا رأي في تحديد مفهوم المدينة، ويذكر المقدسي قولهم فيقول: "...فقالت الفقهاء، المصر كل بلد جامع تقام فيه الحدود، ويحله أمير، ويقوم بنفقته، ويجمع رستاقته..."[4].

وقد أشار الماوردي إلى المدينة ومفهومها من خلال شروط إقامة صلاة الجمعة، فقال: " لا يجوز إقامة الجمعة إلا في وطن مجتمع المنازل، يسكنه من تنعقد بهم الجمعة[5]،ولا يظعنون عنه شتاء ولا صيفا، إلا ضعن حاجة، سواء كان مصرا أو قرية"[6].

---

[1]- دمشق:بكسر أوله وفتح ثانيه، قصبة بلاد الشام، طولها ستون درجة وعرضها ثلاث وثلاثون درجة ونصف، وهي في الإقليم الثالث، ودمشق عاصمة سوريا حاليا. (أنظر: الحموي: معجم البلدان، المصدر السابق، ج2، ص463؛ القزويني، المصدر السابق، ص189).

[2]- المقدسي، المصدر السابق، ص45.

[3]- القزويني، المصدر السابق، ص08،07.

[4]- المقدسي، المصدر السابق، ص 44.

[5]- اختلف الفقهاء في العدد الذي تنعقد به الجمعة، فذهب الشافعي إلى أنها لا تنعقد إلا بأربعين رجلا، ليس فيهم امرأة ولا عبد ولا مسافر، أما الزهري وآخرون فأجازوا انعقادها باثني عشر رجلا سوى الإمام، وقال أبو حنيفة والمزني أنها تنعقد بأربعة أحدهم الإمام، أما الليث بن سعد فجعلها تنعقد بثلاثة، أحدهم الإمام، وقال أبو ثور أنها تنعقد باثنين كسائر الجماعات، في حين لم يجعل الإمام مالك اعتبارا للعدد، وإنما الاعتبار أن يكونوا عددا تبنى له الأوطان غالبا. (أنظر: الماوردي أبي الحسن علي بن محمد(ت450هـ/1058م)، الأحكام السلطانية، تح: أحمد جاد، دط، دار الحديث، القاهرة، مصر، 1427هـ/2006م، ص165،166).

[6]- الماوردي، المصدر السابق، ص165.

المطلب الثاني: نشأة المدينة الإسلامية في المغرب وتطورها.

1- نشأة المدينة الإسلامية: من المعلوم أن أول مدينة ظهرت في الإسلام كانت في يثرب، التي حولها الرسول صلى الله عليه وسلم الى المدينة المنورة[1]، مدينة بمفهومها الحضاري الواضح، وكانت أول خطوة قام بها في سبيل ذلك المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار، ونبذ دعوى القبلية والجاهلية، مبقيا في الوقت ذاته على رابطة ذوي الأرحام، وهي تنظيم يجمع عددا من البطون والعشائر في قبيلة واحدة، تحت راية واحدة، في محيط رابطة القرية، أدى هذا الى خلق مجتمع متماسك، بعيد عن النزعة العصبية، تربطه روابط وثيقة، وبالتدرج اتجه الرسول صلى الله عليه وسلم بعد تحقيق الغاية الأولى، الى إبراز أهمية الوطن والأرض، وتعزيز الشعور بالانتماء لهما، وبعدما كان الناس أنصارا ومهاجرين، أوسا وخزرجا[2]، أصبحوا أهل قباء، وأهل المدينة، وأهل الطائ، في حركة تدل على انصهار المسلمين في كيان واحد[3].

لقد بدأت عملية التعمير في المدينة، بإنشاء بيت الرسول صلى الله عليه وسلم، ومسجده الجامع، ومن حول المسجد اختطت المنازل والدور، وهكذا ظهرت خاصية من خواص تخطيط المدن الإسلامية، بأن يقوم المسجد الجامع في المركز، ودار الإمارة في جانبه[4].

توالت المظاهر المدنية في المدينة المنورة، فكلما دعت الحاجة الى شيء، أنشأه الرسول صلى الله عليه وسلم[5]، وممن دون شك فإن السوق مرفق ضروري في المدينة، لحاجة الناس إليه، فقد أنشأ الرسول صلى الله عليه وسلم سوقا في المدينة، واختار موضعه بعناية وحكمة، ويؤكد ذلك قوله: (...**هَذَا سُوقُكُم، فَلَا ينتقصن ولا يُضربن عليه خَراج**)[6].

---

[1]- المدينة المنورة: مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم، وفيها مسجده وبيته الذي دفن فيه مع صاحبيه، وهي في حرة سبخة مقدار نصف مكة، كانت تسمى يثرب قبل الإسلام، طولها من جهة المغرب ستون درجة ونصف، وعرضها عشرون، وهي في الإقليم الثاني.(أنظر: الحموي، المصدر السابق، ج5، ص82؛ القزويني، المصدر السابق، ص107).

[2]- الأوس والخزرج: قبيلتان من اليمن، وهما من قيس ابن قيلة، وهي أمهما نسبا إليها، وأبوهما حارثة بن ثعلبة، والأوس والخزرج هم قبيلة أنصار النبي صلى الله عليه وسلم.(أنظر: ابن منظور، المصدر السابق، مج2، ج13، ص1149).

[3]- عبد الستار عثمان، المدينة الإسلامية، ص 45.

[4]- مصطفى شاكر، المدن في الإسلام حتى العصر العثماني، ج1، ط1، مكتبة لسان العرب، 1988م، ص304.

[5]- المرجع نفسه، ج1، ص307.

[6]- حديث نبوي شريف، ابن ماجه أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني، سنن ابن ماجه، تح: رائد صبري ابن علفة، ط1، بيت الأفكار الدولية، الأردن، 2007، ص865.

واعتنى الرسول بإنشاء الطرق وصيانتها، وحفظها من عدوان الناس[1]، حيث رَبطت الطرقات والشوارع التي أحدثت في المدينة خططها ومحلاتها ربطا عضويا حولها، واتصلت كل هذه الطرق بالمسجد الجامع، الذي يعتبر مركز المدينة، ويعتبر هذا التخطيط أساسا واضحا في تخطيط المدن الإسلامية بعد ذلك[2].

مارس الرسول صلى الله عليه وسلم سلطاته في المدينة كونه رئيسا وقائدا لها، فنظم أمورها المالية، فكان أول خمس خمسه الرسول، من غنائم بني قينقاع، وكان إذا غاب عن المدينة استخلف عليها، وكان أول من استخلفه سعد بن معاذ[3]، وقام بعقد العهود، وإبرام الاتفاقيات باسم الجماعة الإسلامية في المدينة[4]، كما أمر الرسول بإنشاء مقر للعلاج والتطبب قرب المسجد، ودور للضيافة واستقبال الوفود، كدار عبد الرحمن بن عوف[5]، وسجون، لسجن المخالفين[6].

بعد استقرار الإسلام في جزيرة العرب، اتجهت الفتوحات الإسلامية إلى الأقاليم المجاورة لها، حتى اتسعت رقعة العالم الإسلامي من المحيط الى الخليج، وعلى هذا الحال كانت الحاجة ملحة لإدارة هذه الأقاليم، واتخاذ قواعد متقدمة تكفل استمرار الفتح، وإدارة البلاد، فأنشئت المدن التي كانت بمثابة معسكرات متقدمة لهذه الجيوش، ومراكز إدارية لإدارة الأقاليم المفتوحة، وأول هذه المدن البصرة التي أسست كمعسكر حربي سنة 14هـ/635م، وتليها الكوفة التي أسست لنفس الغرض سنة 17هـ/637م[7].

وبالإضافة الى ما سنه الرسول من خصائص في تشييد المدينة الإسلامية، فقد أنتج الفكر الإسلامي العمراني افكارا ومبادئ هامة، تتعلق بالأسس والثوابت التي يجب على أولي الأمر مراعاتها عند إقبالهم على إنشاء مدينة جديدة، لاسيما فيما يتعلق باختيار موقعها، وقد احتوت بعض المصادر على هذه الأفكار ، لاسيما كتب

---

[1]- مصطفى شاكر، المرجع السابق، ج1، ص308.

[2]- عبد الستار عثمان، المرجع السابق، ص 51.

[3]- سعد بن معاذ بن النعمان بن امرئ القيس بن زيد، ، الصحابي الجليل الأنصاري الذي اهتز عرش الرحمن لوفاته، شهد بدرا واستشهد يوم الخندق.(أنظر: ابن حزم، المصدر السابق، ج1، ج2، ص393؛ ابن الأثير، أسد الغابة، ص477).

[4]- مصطفى شاكر، المرجع السابق، ج1، ص310.

[5]- عبد الرحمن بن عوف: ابن عبد عوف بن عبد بن الحارث بن كلاب بن مرة القرشي، ولد بعد الفيل بعشر سنين، أحد الثمانية الذين سبقوا إلى الإسلام، شهد كل المشاهد مع النبي صلى الله عليه وسلم، أحد العشرة المبشرين بالجنة، ومن بين الستة أصحاب الشوري الذين جعل عمر بن الخطاب الخلافة فيهم.(أنظر: ابن الأثير، أسد الغابة، ص779).

[6]- عبد الستار عثمان، المرجع السابق، ص51.

[7]- المرجع نفسه، ص57،60.

الجغرافيا والفقه والآداب السلطانية وتاريخ الاجتماع السياسي، ويبقى من أقدم وأكبر من اهتم بهذا الموضوع ابن أبي الربيع(ت227هـ/842م)في كتابه "سلوك المالك في تدبير الممالك"، وابن خلدون في الجزء الأول من كتاب العبر الذي يعرف "بالمقدمة"، وابن الأزرق(ت896هـ/1493م) في كتابه "بدائع السلك في طبائع الملك"، وقد اتفق جميعهم على معايير ومعطيات طبيعية، وأخرى بشرية، وتنحصر هذه الشروط في خمس عناصر، لابد من توافرها لكي تعمر المدنية مدة من الزمن، ولا تعجل في خرابها وزوالها، فأولها اعتدال المكان وجودة الهواء، وثانيها وفرة المياه المستعذبة، وثالثها إمكانية الميرة المستمدة، ورابعها توفر مصادر الطاقة، والتي هي الحطب، حيث كانت النار هي طاقة العصر الوسيط، ووجود المراعي الواسعة، وخامسها وجود الحاكم العادل في السلطة[1]، وذهب آخرون إلى اختيار وظائفها، فجعلوا من أهم شروطها الى جانب ما ذكر: تربة خصبة تصلح للزراعة، وإقامة سور دفاعي على حدودها، وأسواق تتوفر فيها حاجيات الناس، ومع كل ما ذكر لابد من وجود سلطان وقائد على المدينة، ينظم أحوالها، ويقف على أعمالها، فيعين القضاة، والعمال، والمحتسبين، ورجال الشرطة، وقواد الجيش[2].

ويشير القزويني إلى أن عملية تشكل المدن تحصل نتيجة ظروف اجتماعية واقتصادية، حيث لا يمكن للإنسان العيش وحده، بل يضطر إلى الاجتماع بغيره، حتى يتسنى له الحصول على المطعم والملبس، فلا يمكن للفرد القيام بعمل الجماعة، فالفلاح يحتاج الى النجار، والنجار يحتاج الى الحداد، فالصناعات بعضها موقوف على بعض[3].

ويؤكد ذلك قول ابن خلدون حين يقول: " الأولى في أن الاجتماع الإنساني ضرورة، ويعبر الحكماء عن هذا بقولهم: الإنسان مدني بطبعه، أي لابد له من الاجتماع، الذي هو المدينة في اصطلاحهم، وهو معنى العمران..."[4].

وليس الاجتماع ضروريا لتحصيل الغذاء فقط، فالدفاع عن النفس لا يحصل إلا بالاجتماع، كما أن الإنسان أو الجماعة لا تأمن نفسها إلا إذا شيدت المنازل، واتخذت الأسوار والخنادق، وبهذا تحدث المدن والأمصار والقرى[1].

---

[1]- حميد الحداد، المرجع السابق، ص135.

[2]- عبد الأحد السبتي و حليمة فرحات، المدينة في العصر الوسيط قضايا ووثائق من تاريخ الغرب الإسلامي ، ط1، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، 1994م، ص15،16،17.

[3]- القزويني، المصدر السابق، ص07.

[4]- ابن خلدون، المصدر السابق، ج1، ص54.

ويضيف ابن خلدون الى شروط اختيار المدن، الأماكن التي لا يوصل إليها، لحماية المدينة من الأعداء، فيقول: " ...إما على هضبة متوعرة من الجبل، وإما باستدارة بحر أو نهر بها..." ، أو احاطتها بسور، كما جعل طيب الهواء من الشروط التي تراعى في اختيار مكان المدن[2].

وقد جعل ابن أبي الربيع ثمانية شروط يجب أن تراعى عند تخطيط المدن، أهمها:

- أن يسوق اليها الماء العذب ليشرب، حتى يسهل على ساكن المدينة تناوله من غير عسف.
- أن يقدر طرقها وشوارعها، حتى تتناسب ولا تضيق.
- أن يبني فيها جامعا للصلاة في وسطها ليقرب على جميع اهلها.
- أن يقدر أسواقها بحسب كفايتها، لينال سكانها حوائجهم من قرب.
- أن يحوطها بسور قصد حمايتها[3].

2- نشأة المدينة في المغرب الإسلامي: عرف المغرب الإسلامي بعد الفترة التي تلت عمليات الفتح بناء مدن جديدة، وإحياء مدن أخرى كانت قائمة، فبعد تأسيس مدينة القيروان سنة 50هـ/670م[4]، تنافس ملوك وأمراء المدن التي تأسست في القرن الثاني الهجري على بناء وتشييد مدن تكون عواصم لدولهم، فانتشرت هذه المدن في مختلف الأقاليم و الأماكن، وعلى مختلف المسالك التجارية[5].

ولم يكن ظهور هذه المدن في المغرب حدثا عفويا، بل كان لابد من توفر ظروف موضوعية ينشأ عنها ميلاد مدينة جديدة، ولم تكن عملية الميلاد هذه بالأمر السهل، في بلاد لم تتخلص بعد من سيطرة النظام القبلي[6]،

---

[1]- القزويني، المصدر السابق، ص07،08.

[2]- ابن خلدون، المصدر السابق، ج1، ص 432.

[3]- ابن أبي الربيع شهاب الدين أحمد بن محمد(ت227هـ/842م)، سلوك المالك في تدبير الممالك، تح: عبد العزيز بن فهدبن عبد العزيز آل سعود، ط1، دار العاذرية للنشر والتوزيع، الرياض، 2010، ص154.

[4]- الحبيب الجنحاني، المجتمع العربي الإسلامي(الحياة الاقتصادية والاجتماعية)، دط، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 2005، ص92.

[5]- محمد عبد الستار عثمان، المرجع السابق، ص68،69.

[6]- جودت عبدالكريم ، الأوضاع الاقتصادية، ص341،342.

فقد كان العامل العسكري سببا في إنشاء مدينة القيروان[1]، ويذكر حسين مؤنس أن عقبة بن نافع قرر إنشاء عاصمة أو مركز عسكري للمسلمين في إفريقية، فاختار موقعا لذلك، وبدأ في اختطاط المدينة، وسار على نفس المنهج المتبع في تخطيط المدن الإسلامية في المشرق[2].

بالإضافة الى العامل العسكري، كان للسياسة والدين دور كبير في نشأة مدن جديدة بالمغرب، إذ كانت كل دولة مستحدثة تسعى لبناء عاصمة جديدة، تكون مقرا لحكمها، ومركزا يتجمع فيه أنصارها وأشياعها، ويؤكد البكري في حديثه عن بناء مدينة سجلماسة، أن قوما من الصفرية اجتمعوا في تلك المنطقة، وقدموا على أنفسهم عيسى بن مزيد الأسود، وشرعوا في بناء سجلماسة سنة 140هـ/757م[3].

وكان هذا حال بناء مدينة تاهرت، فبعد فرار عبد الرحمن بن رستم من القيروان، لجأوا الى منطقة جبلية، وتحصنوا في بلدة صغيرة تسمى تاهرت (تاهرت القديمة)، وشرع رجاله في نشر المذهب الإباضي في هذه النواحي، وأخذ عبد الرحمن بن رستم ينشئ دولته على المبادئ الإباضية، وأول ما بدأ به، بناء مدينة تاهرت الجديدة سنة160هـ/776م لتكون عاصمة لمناطقه، وأنشأ فيها مسجدا جامعا، أقام عليه إماما إباضيا[4].

وبعد أن ضاقت بالأدارسة مدينة وليلي[5]، بنى إدريس الثاني[6] مدينة فاس سنة 182هـ/798م، واتخذها عاصمة له، وكثر عليها الوفود من الأندلس وباقي المغرب، فأصبحت تتناسب ومكانة الدولة[7].

وبالإضافة الى العوامل السابقة، فإن العامل الجغرافي كان عاملا أساسيا في اختيار مواقع المدن، ويرى ابن أبي زرع أن فاس تتوفر فيها كل شروط إنشاء المدن، فيقول: "...أحسن مواضع المدن أن تجمع خمسة أشياء وهي: النهر الجاري، والمحرث الطيب، والمحطب القريب، والسور الحصين، والسلطان، ...وقد جمعت مدينة فاس هذه

---

[1]- موسى لقبال، المرجع السابق، ص28،29.

[2]- حسين مؤنس، معالم، ص39.

[3]- البكري، المصدر السابق، ص149.

[4]- حسين مؤنس، معالم، ص116،117.

[5]- وليلي: مدينة بالمغرب قرب طنجة، لجأ إليها إدريس الأول الذي فر من العباسيين بعد موقعة فخ سنة 172هـ، وأسس فيها دولة الأدارسة في المغرب الأقصى.(أنظر: الحموي، المصدر السابق، ج5، ص384).

[6]- إدريس الثاني: هو إدريس بن إدريس بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب، ولد سنة 177هـ/893م، بويع لحكم المغرب سنة 188هـ/904م.(أنظر: عباس نصر الله سعدون، دولة الأدارسة في المغرب العصر الذهبي (223.172هـ/835.788م)، ط1، دار النهضة العربية، بيروت، 1987م، ص85.

[7]- عباس نصر الله سعدون، المرجع السابق، ص149.

الخصال..."[1]، كما توفرت هذه الشروط في أغلب مدن المغرب، بل كانت شرطا من شروط اخيار موقعها، فقد كانت المياه والزروع، والغابات، متوفرة في المهدية[2]، وكان المحتطب قريبا من جراوة أبي العيش[3]، فكان أسفل جبل ممالو على أربعة أميال منها[4].

لقد كان الجانب الاقتصادي أساسا في قيام وتطور مدن المغرب، فقد كانت المدينة في المغرب تستمد أهميتها من إنتاجها الزراعي والحرفي والصناعي، الذي يحول الى تجارة في نهاية المطاف، ومعظم مدن المغرب كانت على هذه الصفة، خاصة تلك التي كانت على تصالب طرق كان الغالب عليها التجارة[5].

أما عن تخطيط المدن المغربية، فقد خضعت الى المعايير التي بنيت عليها المدن الإسلامية، والتي ذكرناها في حديثنا عن نشأة المدينة الإسلامية، فقد سارت مدن الأمصار ومن بينها المغرب، على منهج الرسول في اختيار موضع متوسط في المدينة لإقامة المسجد الجامع[6]، كما وافقت شروط اختطاط المدن لابن أبي الربيع[7].

و أول ما خطه عقبة بن نافع من مدينة القيروان، المسجد الجامع ودار الإمارة، ثم أخد الناس بعدها في بناء الدور و المساكن، وعمرت، وشد الناس اليها المطايا من كل فج[8]،وفي هذا الصدد ذكر ابو زكريا يحي عن مدينة تاهرت، فقال: "... فقصدوا الى اختيار محل ليؤسسوا فيه المسجد الجامع قبل كل شيء، فانتخبوا أربعة أماكن، ورموا القرعة عليها، فجاءت على المكان الذي أصلحوه للصلاة أيام إقامتهم ..."[9]، ويكون أبو العيش عيسى

---

[1]- ابن أبي زرع، المصدر السابق، ص16.

[2]- البكري، المصدر السابق، ص29.

[3]- جراوة أبي العيش: مدينة بإفريقية، بين قسنطينة و قلعة بني حماد، أسسها أبو العيش عيسى سنة 257هـ.(أنظر: الحموي، المصدر السابق، ج2، ص117؛ عبد الكريم جودت يوسف، الأوضاع الاقتصادية، ص358).

[4]- جودت عبد الكريم، الأوضاع الاقتصادية، ص357.

[5]- مصطفى شاكر، المرجع السابق، ج1، ص128.

[6]- عبد الستار عثمان، المرجع السابق، ص211.

[7]- ابن أبي الربيع، المصدر السابق، ص154.

[8]- الحبيب الجنحاني، المرجع السابق، ص91.

[9]- أبي زكريا يحي بن أبي بكر(توفي في النصف الثاني من القرن 5هـ/11م)، سير الائمة واخبارهم، تح: اسماعيل العربي، ط2، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ص82.

بن ادريس، مؤسس مدينة جراوة أبي العيش قد أعطى المدينة طابعا معماريا إسلاميا، فأتبع نفس عادة المسلمين في بناء مدنهم، فلابد أنه بنى مرفقها بعد أن بنى مسجدها الجامع[1].

ومن خصائص المدن المغربية، خاصة في المغربين الأدنى والأوسط ، أن غالبيتها مدن صغيرة ومتوسطة، تعتمد في سد حاجياتها على سكان المناطق الريفية، ولعلها كانت مراكز تجارية هامة تربطها العديد من المسالك[2].

المطلب الثالث: أثر التجارة في نشأة مدن المغرب الإسلامي.

عرف العالم الإسلامي ابتداء من القرن الثاني الهجري تطورا عمرانيا كبيرا، وبلغ هذا التطور ذروته خلال القرنين الرابع والخامس الهجريين، ويعد تأسيس المدن أبز سماته، وقد أصبحت بعض هذه المدن تمثل أكبر مدن العالم، وعلى ضوء هذا فإن المجتمع الإسلامي هو مجتمع مدن بالدرجة الأولى، ويلاحظ أن هذا النهوض العمراني اعتمد أساسا على الازدهار الاقتصادي، الذي كان ينحصر حينها في النشاط التجاري[3]، خاصة مع وجود شبكة من الطرق التجارية المستعملة، التي كانت نواة لتأسيس تجمعات عمرانية جديدة[4].

ويشير ابن خلدون في هذا الصدد إلى العلاقة بين العمران والنشاط الاقتصادي، حيث يقول: " ...ومتى عظم الدخل والخرج اتسعت أحوال الساكن، ووسع المصر"[5]، وفي هذا القول إشارة واضحة إلى دور التجارة في نمو وتطور العمران، باعتبار التجارة أهم مصادر الدخل والخرج، كما يرى ان وجود المدينة التي تكون اجتماعا انسانيا ضرورة ملحة، وذلك لكي يتمكن من تحصيل قوته، وحاجته التي لا تتم إلا بتكامل المهن والصناعات، والأكيد أن من الضروريات التي تؤمن حاجة الانسان في غذائه ولباسه وطعامه، التجارة ومبادلاتها[6].

ومن شروط اختيار موقع المدينة عند ابن الأزرق، قرب الموقع من البحر لتسهيل المبادلات التجارية، على أن يكون الموقع على جبل، أو قريبا من التجمعات الحضرية، وهذا جلبا للمنافع الاقتصادية، ودفعا للمضار

---

[1]- جودت عبد الكريم ، الأوضاع الاقتصادية، ص358.

[2]- عبد الرزاق خالدي، دور الطرق التجارية في نشأة المدن بالمغرب الأوسط في العصر الوسيط، مدينة وارجلان أنموذجا، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الإسلامي، جامعة الجزائر، 2009/2008، ص84.

[3]- الحبيب الجنحاني، المرجع السابق، ص 75.

[4]- عزالدين بونيحاوي، تأثير الطرق في إنشاء مدن المغرب الأوسط، "مجلة الخلدونية"، العدد 01، دت، ص 23.

[5]- ابن خلدون، المصدر السابق، ج1، ص452.

[6]- ابن خلدون، المصدر السابق، ج1، ص54.

الأمنية[1]، ويجعل ابن الأزرق التجارة سببا من أسباب اختطاط المدن فيقول:" وتعدد الأعمال التي هي سبب الكسب، مقتض لحصول الثروة بما يفضل عنها بعد الضروريات منم الفضلة الزائدة، وينشأ عن هذا الفائض في الثروة اتخاذ المعاقل والحصون، واختطاط المدن والأقطار"[2]

إن بناء مدن جديدة، وتطور مدن أخرى في بلاد المغرب له علاقة جدلية مع الازهار التجاري الحاصل، فحصول فئات المجتمع على الثراء، الناتج عن امتلاك أعداد هائلة من المواشي والمواد الزراعية، والمتاجرة بها، واتصال هذه الفئات بفئات ثرية أخرى، جعلها تتحول من حياة الظعن الى حياة الاستقرار، وقد رافق هذا العامل، الموقع الجغرافي، فتواجدهم في مناطق تعتبر معابر تجارية عامرة، الى جانب توفر الأمن والاستقرار، وعوامل أخرى تختلف من منطقة لأخرى، يجعل المنطقة ملائمة لشروط تأسيس المدن[3].

إن تدفق معدن الذهب إلى بلاد المغرب بسبب تغلغل التجار المغاربة في السودان الغربي منذ القرن 3هـ/9م هو الذي سمح ببناء وانعاش ما يزيد عن مائة مدينة جديدة وقديمة في تلك البقاع، من بينها فاس والقيروان وتاهرت والبصرة ومراكش وتنس التي كانت عقد محطات القوافل وبضاعتها من الذهب[4].

إن أولية المدينة في العالم الإسلامي ما بين القرنين 2هـ/5هـ ظاهرة ثابتة ورئيسية للحقبة التي ندرس، فمن سمرقند إلى قرطبة كانت الحضارة الإسلامية حضارة مدينية تتميز بوحدتها وبحركة تنقل حرة وواسعة للناس والبضائع، وهكذا كان العالم الإسلامي يبدو كسلسلة من الجزر المدينية المرتبط بعضها ببعض بخطوط تجارية[5]،وهذا ما ينطبق على بلاد المغرب، حيث أن الاهتمام بالتبادل التجاري كمورد اقتصادي، كان محفزا ومنشطا للحركة الاجتماعية في المدن الإسلامية بصفة عامة، ومدن المغرب على وجه الخصوص، حيث يلاحظ أن المدن التي قامت في بلاد المغرب، تواجدت على ملتقى الطرق التجارية القديمة، أو في المناطق المجاورة للمحاور الكبرى لطرق التجارة التي أنشئت بعد الفتح الإسلامي،[6]، ونلاحظ أن المستوى الاقتصادي للمدينة ينعكس على توسعها

---

[1]- ابن الأزرق أبي عبد الله(ت896هـ/1493م)، بدائع السلك في طبائع الملك، تح: علي سامي النشار، دط، منشورات وزارة الثقافة والفنون، العراق، ج2، ص279.

[2]- المصدر نفسه، ج2، ص194.

[3]- جودت عبد الكريم، الأوضاع الاقتصادية، ص343.

[4]- مصطفى شاكر، المرجع السابق، ج2، ص418.

[5]- المرجع نفسه، ج2، ص429.

[6]- جودت عبد الكريم، الأوضاع الاقتصادية، ص 193.

العمراني، سواء من حيث الحجم أو الوتيرة، فالازدهار التجاري يستقطب الناس ويجذبهم إليها، رغبة في رغد العيش وتنمية الثروات، فمدينة فاس زمن الأدارسة "كثرت العمارة بها، وقصدها الناس من إفريقية والأندلس، وجميع بلاد المغرب، فضاقت بسكانها، فبنى الناس الأرباض بخارجها، وبنى الأمير يحي بن إدريس[1] بها الحمامات والفنادق للتجار وغيرهم"[2]، وهذا راجع الى كونها محطة للقوافل التجارية، تقع على الطرق التجارية التي تربط بين مصر وتلمسان غربا، ثم إلى سجلماسة جنوبا، وكانت طريقا تجارية مهمة لنقل البضائع والتجارات براً[3].

وكانت المدينة في المغرب تستمد أهميتها من إنتاجها الزراعي والصناعي والحرفي، الذي يحول إلى تجارة في نهاية المطاف، ومعظم المدن الإسلامية كانت على هذه الصفة، وقد كانت على تصالب طرق، كان الغالب عليها التجارة[4].

ومهما يكن من أمر تنظيم الصنائع والتجارات، فقد كانت تقام التجمعات السكانية حيث يقوم الناس بإعداد مكان للتبادل التجاري، ولهذا كان لكل قبيلة أو عدة مجموعة من القبائل سوق محلية، وكانت غالبا ما تتمركز في منطقة يوجد بها ماء، أو تكون على الطرق التجارية الرابط بين الأقاليم الكبرى، وعادة ماتكون هذه الأسواق نواة لمدن تجارية[5]، فمنطقة تاهرت مثلا، بالإضافة الى كونها أرضا زراعية، بوجود عدة أنهار ومناطق رعوية بها، فهي على الطريق التجاري الذي يربط شرقي المغرب بغربه، مما ترك أثرا اقتصاديا واجتماعيا على قبائل هذه المناطق، كما أن توسطها قبائل المنطقة جعلها سوقا لها، ثم أقيمت مدن تنس ووهران اللتين أنشأهما التجار الأندلسيون أسواقا لهم مع البربر، فما لبثت أن تحولت إلى مدن كبيرة [6]، ويذكر ابن الصغير(عاش في القرن

---

[1] – يحي بن ادريس: يحي بن محمد بن إدريس بن إدريس الحسني ملوك الأدارسة، كانت عاصمته فاس، ولي المغرب الأقصى بعد وفاة أبيه محمد سنة 234هـ بعهد منه، كان محبا للعمران.(أنظر: الزركلي خير الدين(ت1396هـ/1976م)، الأعلام قاموس تراجم لأشهر الرجال و النساء من العرب والمستعربين والمستشرقين، ج6، ط7، دار العلم الملايين، بيروت، لبنان، 1986م، ص163).

[2]– ابن أبي زرع، المصدر السابق، ص29.

[3]– عبد الجبار ناجي، دراسات في تاريخ المدن العربية والإسلامية، ط1، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، بيروت، لبنان، 2001، ص130.

[4]– مصطفى شاكر، المرجع السابق، ج1، ص128.

[5]– جودت عبد الكريم، الأوضاع الاقتصادية، ص134.

[6]– مصطفى شاكر، المرجع السابق، ج2، ص347.

3هـ/9م) في هذا الصدد أن الشروع في عمارة وبناء تاهرت، تم بعد مجيء وفد البصرة الأول، ثم بدأت المدينة تتسع بمن وفد عليها من كل الأقطار، اجتذبتهم بأمنها، وعدلها، ورخائها وازدهار تجارتها[1].

وعند النظر الى اختيار مواقع المدن في المغرب، نجد أن العامل الطبيعي كان له أثر في ذلك، فأين وجد الإنسان أسباب المعيشة متوفرة، حيث الأرض الصالحة للزراعة، وتوفر المياه بكثرة، وفضاء واسع يصلح للتوسع والتنقل، أقام المدن، وإضافة الى هذه العوامل، اختار الإنسان المغربي موقعا لائقا يساعد ويسمح بالتبادل التجاري بين المناطق المحيطة به، وذلك لتوفير الحاجيات الغير متوفرة في إقليمه[2].

وباعتبار النشاط الاقتصادي شرطا من شروط إنشاء المدن، حيث لابد من توفير حاجيات السكان المختلفة، فنجد أن التجارة من أهم أنشطة المدينة الاقتصادية، لذلك كان اختيار موقع المدينة في الغالب مرتبطا بالإقليم، وما يوفره من إمكانات اقتصادية، وبالطرق التجارية الهامة، التي تمكن المدينة من توفير احتياجاتها، وتصدير منتوجاتها، لاسيما وأن المدينة لا يمكن أن تعيش على وظائفها المحلية فقط، بل لابد لها من إقامة علاقات مع غيرها من المدن[3]، ومن المدن التي مارست وظيفتها التجارية، باعتبار موقعها في خريطة التجارة الدولية، ووقوعها على الطرق التجارية الكبرى، نجد مدن سدراتة، القيروان، وارجلان، المسيلة، أشير، قلعة بني حماد، أغمات، وسجلماسة، و مدينة فاس[4].

وكان الانصراف إلى الحياة الاقتصادية والتجارية قد ترتب عليه قيام حركة التطور الاجتماعي، فأدى إلى حياة مترفة وباذخة، فتحولت مدن غدامس و ورجلان وودان وزويلة من مجرد قرى صغيرة ومغمورة على حافة الصحراء إلى مدن وحواضر آهلة بالحركة والنشاط، كما غدت مراكز حضارية تزدان بالعلم والثقافة والسياسة والفن[5].

إن الفعالية الاقتصادية، وخاصة ما يتعلق بالتجارة، هي التي تخلق المدن، أو على الأقل تحدد مواقعها ووظائفها، كما تحدد كثرتها وقلتها، ومدى نموها، ولما كانت البلاد الإسلامية، ومنها المغربية في أوج نشاطها

---

[1]- ابن الصغير(عاش في القرن الثالث الهجري التاسع الميلادي)، أخبار الأئمة الرستميين، تح: محمد ناصر و إبراهيم بحاز، دط، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، دت، ص28.

[2]- عزالدين بونيحياوي، المرجع السابق، ص24.

[3]- عبد الستار عثمان، المرجع السابق، ص88،89.

[4]- المرجع نفسه، ص90.

[5]- سوادي عبد محمد وصالح عمار الحاج، المرجع السابق، ص139.

التجاري، فإنها استطاعت أن تضيف الى المدن القديمة 350 مدينة أخرى جديدة، وبذلك قد أدخلت الوحدة الإسلامية وحدةً اقتصادية، قامت على علاقات تجارية واسعة، وعلى طرق برية وبحرية تربط بينها، كان هذا الازدهار المديني ما بين القرنين الأول والسادس الهجري، وكانت المنطقة الإسلامية خلال هذه القرون مسرحا لحركة عمرانية مدهشة، يكاد معدلها يكون بناء مدينة كل سنتين، ويشمل هذا التحول بلاد المغرب بكل تأكيد[1].

إن توزيع شبكة المدن في المغرب الإسلامي، يدل على ارتباطها بالطرق التجارية الرئيسية، بحيث أن المدن التي أسست قبل القرن الخامس الهجري، كانت مركزة في الهضاب العليا، وهذا أمر طبيعي إذا ما تم التعرف على الطريق الرئيسي الممتد من إفريقية الى المحيط الأطلسي، أما بعد القرن الخامس الهجري، فإن العوامل الجديدة، والطرق التجارية البحرية والساحلية الجديدة، جعلت النشاط العمراني يتحول من الهضاب الى السواحل، بواسطة ما أحدث ما بين المدن الواقعة في الداخل، والشريط الساحلي، مثل طريق القلعة الى بجاية، أو من تاهرت الى تنس، أو من تلمسان الى هنين، وغيرها من الطرق على طول الشريط الساحلي لبلاد المغرب[2].

ومن بين أهم محاور النهضة العمرانية للمدينة، وأحد متطلبات سكانها الأسواق، التي تعتبر ركيزة تجارية هامة في المدينة[3]، يقول الله تعالى: {**وَكَذَٰلِكَ بَعَثْنَاهُمْ لِيَتَسَاءَلُوا بَيْنَهُمْ، قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ كَمْ لَبِثْتُمْ، قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ، قَالُوا رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ، فَابْعَثُوا أَحَدَكُم بِوَرِقِكُمْ هَٰذِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ، فَلْيَنظُرْ أَيُّهَا أَزْكَىٰ طَعَامًا، فَلْيَأْتِكُم بِرِزْقٍ مِّنْهُ وَلْيَتَلَطَّفْ، وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا**[4]}، فالمدينة على هذا الأساستمثل سوقا أو مركزا تجاريا ثابتا، وهذه الإشارة انعكاس لجميع المدن، ويؤكد ذلك قول ابن خلدون: "... تتفاضل بالأسواق وكثرة الأرزاق، ونفاق الأسواق من تفاضل عمرانها في الكثرة والقلة"[5].

إن ضرورة التبادل التجاري في المدينة الواحدة أدى إلى وجود السوق كوحدة قائمة داخل الفضاء العمراني، ولقد كانت الأسواق على الدوام العنصر الثالث من عناصر تكوين المدينة، بعد المسجد ودار الإمارة، وتعد الأسواق من أهم الوحدات الطوبوغرافية في المدينة الإسلامية، ويعدد عبد الجبار ناجي نقلا عن المستشرق

---

[1]- مصطفى شاكر، المرجع السابق، ج2، ص 340.

[2]- المرجع نفسه، ص64.

[3]- إبراهيم القادري بوتشيش، المرجع السابق، ص 135.

[4]- القرآن الكريم، الكهف، 19.

[5]- ابن خلدون، المصدر السابق، ج1، ص450.

الفرنسي ماسينيون(Massignon)[1] أهم ما استندت عليه المدينة الإسلامية سواء في المشرق أو المغرب، ويجعل من بينها القيساريات، التي هي عبارة عن مجموعة من المحلات التجارية التي تضمها سوق مسقوفة، ولها مدخل يغلق أثناء الليل، وتضم القيسارية مجموعة من الأسواق الفرعية المتخصصة بحسب المهن، والبضائع المعروضة، والى جانب القيساريات، نجد الأسواق التي تتجمع وسط المدينة، والتي تتجمع حولها أسواق فرعية، حسب المهن والصناعات التي تعرض فيها، فنجد سوق الخرازين، والخبازين، والسباكين، والأساكفة، وسوق أصحاب الكتب، والنجارين، وغيرها مما يعرض[2]، ويمثل السوق المركز الحيوي للنشاط التجاري، ويضع مارسيه[3](Marcais)موقع أسواق المدن بجوار المساجد الجامعة، ودار الإمارة[4]، يشير الإدريسي الى انواع الأسواق الموجودة في مراكش فيذكر سوق الدخان، والصابون، والصفر، والمغازل، وغيرها[5]، ولم تخل مدينة من مدن المغرب من وجود الأسواق، وهو ما تؤكده المصادر الجغرافية في وصفها لمدن المغرب[6].

ومن المظاهر التي تؤكد دور التجارة في نشأة المدن، وجود بعض المدن التي يظهر من خلال أسمائها أنها كانت سوقا قبل أن تعمر وتصبح مدينة، وهو ما يعرف بالمدن الأسواق، أو المدينة السوق، كمدينة سوق حمزة، التي كانت مدينة تجارية بالدرجة الأولى، وتستبعد أي غاية عسكرية في بنائها[7]، ومن أمثلة هذه المدن أيضا نذكر سوق إبراهيم، وسوق هوارة، وسوق ماكسن، وسوق كران، ولقد جاء ذكر هذه المدن عند البكري: "وتسير من اشير الى قرية تسمى سوق هوارة، ومنها الى قرية تسمى سوق كرام، وهي على نهر شلف.."[8]، "...الى سوق

---

[1]- ماسينيون(1962/1883م): مستشرق فرنسي، ولد في ضواحي باريس، زار الجزائر وتحصل من جامعاتها على شهادة ليسانس في الآداب سنة 1902م، تعرف على ثلة ممن المستشرقين الكبار في مؤتمر المستشرقين الرابع عشر في الجزائر سنة 1905م، درس في عدد من الجامعات العربية، تحصل على الدكتوراه برسالة عن "آلام الحلاج"، له مِلفات كثيرة بين تأليف وتحقيق وترجمة وغيرها، من أبرزها "جغرافية المغرب" و "آلام الحلاج".(أنظر: يحي مراد، معجم أسماء المستشرقين، دط، د د ن، دت؛ ص1014).

[2]- عبد الجبار ناجي، المرجع السابق، ص27.

[3]- مارسيه (1962/1876م): فنان وعالم من أعلام الحضارة الإسلامية، تخرج من مدرسة الفنون الجميلة، ونال لقب دكتوراه في الأدب، عين مديرا لمعهد الدراسات الشرقية في الجزائر سنة 1913م، و أستاذ للآثار الإسلامية في كلية الآداب بالجزائر سنة 1919م، من أبرز آثاره تاريخ العرب في بلاد البربر من القرن 11 إلى 14م. (أنظر: يحي مراد، المرجع السابق، ص1000).

[4]- عبد الجبار ناجي، المرجع السابق، ص31.

[5]- الإدريسي، المصدر السابق، ج1، ص235.

[6]- جودت عبد الكريم، المرجع السابق، ص139.

[7]- المرجع نفسه، ص356.

[8]- البكري، المصدر السابق، ص60،61.

ماكسن، وهي مدينة على وادي شلف...الى سوق حمزة..."[1]، كما يذكر ابن حوقل سوق ابراهيم على أنها مدينة، ويصف سوق كران بأنه حصن، فيقول: "...سوق ابراهيم، وهي مدينة أيضا صغيرة، فيها حمام وسوق، وهي على نهر شلف...ومنها الى سوق كران...وهو حصن أزلي..."[2]، والملاحظ أن مدن العلويين كانت تقترن غالبا باسم (سوق)[3].

إن الخط البياني لبعض المدن في المغرب كان في ارتفاع وهبوط حسب الظروف السياسية أو التجارية التي كانت عليها الدولة، فعبور القوافل بها أو إهمالها لسبب أو لآخر، كان سببا في بروز مدن على حساب مدن أخرى، وكان من نتائج الغزو الهلالي لبلاد المغرب، شلل اقتصاد المدن جراء تضرر التجارة الداخلية والصناعات، والخراب الذي حل بالمدن والقرى، ، و حالة اللاأمن التي كانت تشهدها الطرق التجارية، كما أن هذه الأحداث كانت سببا في بزوغ فجر مدينة بجاية كعاصمة جديدة للحماديين بدل مدينة القلعة، العاصمة الأولى لدولتهم[4]، وأصبحت القيروان ممرا عابرا، وانتقل الثقل الاقتصادي تدريجيا نحو المدن الساحلية، كمدينة بجاية، والمهدية، ووهران، وتنس، وغيرها من المراسي، أو المدن القريبة من الساحل، كمدينة قسنطينة، وقفصة[5]، لذلك فقد ارتبط اختيار مواقع المدن الإسلامية بظروف العصر الذي أنشئت فيه، فمنها من أنشئ الى الداخل، ومنها ما كان ساحليا[6].

ولقد سمحت الظروف التي كانت عليها المناطق الداخلية للمغربين الأوسط والأدنى، منذ زحف بنو هلال وبنو سليم على تلك الأراضي في منتصف القرن الخامس الهجري، على انتعاش الطريق الساحلي خاصة بعد ضبطه على يد الموحدين وانعاشه اقتصاديا[7]، وحددت أهمية هذا الطريق الساحلي، وطرق بحرية أخرى مواقع

---

[1]- البكري، المصدر السابق، ص65.

[2]- ابن حوقل، المصدر السابق، ص89.

[3]- جودت عبد الكريم، الأوضاع الاقتصادية، ص193.

[4]- البشير بوقاعدة، المرجع السابق، ص 92.

[5]- عزالدين أحمد موسى، المرجع السابق، ص308.

[6]- جودت عبد الكريم ، العلاقات، ص91.

[7]- مريم جبودة، المرجع السابق، ص171.

الكثير من المدن، ولا أدل على ذلك من تلك المدن التي أقامها المغاربة على ساحل الشمال الإفريقي والأندلسي، كمدينة المهدية، والمرية[1].

تميزت الواجهة البحرية لبلاد المغرب بكثير من الموانئ التي امتدت من الشرق الى الغرب[2]، ولقد كان الميناء يحظى في تلك الفترة بأهمية بالغة، خاصة مع تحول الطرق التجارية نحو الساحل بعد الغزو الهلالي، كما أن لتزايد نشاط الأندلسيين في حوض الحر المتوسط أثر إيجابي على تطور ونمو حركة العمران في سواحل المغرب، ويظهر ذلك من خلال بناء مدن جديدة أماكن تواجد المراسي ، وإحياء مدن قديمة أخري ، بعد أن أصبح لها شأن معتبر نتيجة لازدهارها التجاري[3].

وتشير كتب الجغرافيا لابن حوقل والبكري معلومات مهمة حول النشاط التجاري للواجهة البحرية لبلاد المغرب، وكيف كانت مرتبطة بفضاء مغربي اندلسي، حيث يتطرق هذين الجغرافيين خصوصا الى رصد لأهم مدن الساحل المغربي، وأثناء التعريف بهذه المدن غالبا ما تتم الإشارة الى مؤسسيها، أو المشاركين في ذلك، وبالتالي نجد معلومات قيمة حول الدور الذي لعبه التجار الأندلسيين في هذا المجال[4]، ومن بين مدن المغرب التي شارك الأندلسيون في تأسيسها، مدن تنس ووهران وأسلن، فالعلاقات الودية المتميزة للتجار الأندلسيين مع قبائل بربرية شجع على إنشاء هذه المدن وإعطائها صيغة متميزة دائمة الحضور في تاريخ العمران[5].

وإذا كان رواج التجارة عاملا مهما في إنشاء المدن وتطورها، فإن خرابها مرتبط بعدة عوامل، من بينها كساد التجارة، بسبب ظلم الرعية في أموالهم، والتسلط عليهم في شراء ما بأيديهم بأبخس الأثمان، فيضطرب بذلك حال تجار المدينة، ومن يرد عليهم من تجار الآفاق، وسائر العاملين في الأسواق، فتشمل الخسارة جميع

---

[1]- عبد الستار عثمان، المرجع السابق، ص90.

[2]- ابن حوقل، المصدر السابق، ص69-83؛ البكري، المصدر السابق، ص81-85.

[3]- رفيق خليفي، الأندلسيين وتنشيط حركية الواجهة البحرية للمغرب الأوسط، الملتقى الدولي: الموانئ الجزائرية عبر العصور سلما وحربا، مخبر البناء الحضاري للمغرب الأوسط، جامعة الجزائر 2، 2009، ص138،142.

[4]- خديجة بورملة و عبد القادر بوباية، النشاط البحري الأندلسي في حوض البحر المتوسط ودوره في نشأة وتطور المدن الساحلية للمغرب الأوسط(دراسة نماذج بعض المدن من خلال الكتابات الجغرافية)، "مجلة عصور الجديدة"، العدد23، 2016م، ص133.

[5]- رفيق خليفي، المرجع السابق، ص141،142.

الطبقات، فينقطع الواردون على الأسواق، ويصعب المعاش، وبذلك يخف ساكن القطر فرارا لتحصيل الرزق في غير مدينته، فتنقص الجباية، مما يؤول آليا إلى فساد العمران وخراب المدن [1]

في الأخير، ومما سبق، يمكن القول أن للمدينة مفاهيم مختلفة ومتعددة، حسب كل مجال وتخصص، حيث تتباين التعاريف بين كلٍ من المؤرخين والفقهاء والجغرافيين وعلماء الاجتماع والاقتصاد والسياسة.

تأثر الفكر العمراني والمديني لدى المسلمين بما سنه الرسول صلى الله عليه وسلم في تخطيطه للمدينة المنورة، كما ارتكز بناء وتخطيط المدن على الخصائص والأسس التي أنتجها الفكر العمراني الإسلامي ومبادئه الهامة، خاصة فيما يتعلق بالمعايير الطبيعية والبشرية التي يجب مراعاتها عند بناء المدن.

شهد المغرب الإسلامي حركة عمرانية واسعة بعد الفتح الإسلامي، هذا النشاط العمراني كان نتيجة لتغيرات عسكرية وسياسية واقتصادية في المنطقة، ونلاحظ من خلال ما أوردته المصادر أن المدن المغربية لم تختلف على نظيرتها في المشرق، وارتكزت كلها على المبادئ الإسلامية في اختطاط المدن.

لقد كان العامل الاقتصادي متمثلا في التجارة عاملا هاما، بل رئيسا في إنشاء معظم مدن المغرب، خاصة تلك المدن التي كانت على تصالب الطرق التجارية الرئيسية، والمدن التي أنشئت في الشريط الساحلي لبلاد المغرب، كما تأسست مدن كانت في البداية عبارة عن أسواق، وسميت بعضها باسم السوق الناشط في تلك المنطقة، وهذا ما يبين لنا دور التجارة الهام في إنشاء مدن المغرب الإسلامي.

[1]– ابن الأزرق، المصدر السابق، ج1، ص100.

المبحث الثالث: إسهامات التجارة في إنشاء مدن المغرب الإسلامي.

- المطلب الأول: المدن الساحلية.
- المطلب الثاني: المدن الداخلية.
- المطلب الثالث: المدن الصحراوية.

المبحث الثالث: إسهامات التجارة في تأسيس مدن المغرب الإسلامي.

المطلب الأول: المدن الساحلية.

مدينة مرسى الخرز: اشتهرت على أنها مرسى أو قرية أكثر من كونها مدينة على الساحل، لكنها اكتسبت أهميتها من رواج تجارة المرجان بها، ووفود السماسرة التجار من الأندلسيين خصوصا[1]، تكلم ابن حوقل عن نبلها فقال: " قرية غير أنها نبيلة "[2]، وفي هذا القول توضيح على أنها قرية كبيرة أقرب ما تكون إلى مدينة صغيرة، وإذا كان ابن حوقل وصفها بالقرية، فإن الإدريسي يذكر أنها مدينة فيقول عنها: " وعلى نحر البحر الملح مدينة مرسى الخرز"[3]، وهذا دليل على تطور المدينة في هذه الفترة.

ومن خلال أوردته النصوص، يمكن اعتبار تجارة المرجان السبب الرئيس في تحول قرية مرسى الخرز إلى مدينة فقد اشتهرت المدينة باستخراج المرجان الأحمر وتصديره إلى مختلف الآفاق، وكان له رواج في الهند والصين ومعظم بلدان المحيط الهندي التي لا يوجد بها إلا المرجان الأبيض[4]، وهو أنفس مرجان في الدنيا، يقول عنه ابن حوقل أنه أنفس مرجان الدنيا[5].

مدينة بجاية: شكلت مدينة بجاية خلال العصر الوسيط منذ اتخاذها عاصمة للحماديين إحدى أهم مدن بلاد المغرب الإسلامي، ولم ينحصر دورها في المجال السياسي كعاصمة مركزية للدولة الحمادية أولا، ثم عاصمة إقليمية في ظل الحكم الحفصي، بل تعداه إلى الجانب الاقتصادي، حيث أصبحت هذه المدينة وفي ظرف قصير جدا، من أشهر المراكز التجارية الكبرى لحوض البحر المتوسط الغربي[6].

1- رفيق خليفي، المرجع السابق، ص138،139.

[2]- ابن حوقل، المصدر السابق، ص76.

[3]- الإدريسي، المصدر السابق، ص290.

[4]- رفيق خليفي، المرجع السابق، ص138.

[5]- ابن حوقل، المصدر السابق، ص76.

[6]- خديجة بورملة، بجاية المدينة والميناء ودورهما في التجارة المتوسطية خلا ل العصر الوسيط، "مجلة عصور الجديدة"، المجلد08، العدد01، الجزائر، 2018م، ص44.

وكانت بجاية قبل تمصيرها من قبل الحماديين مرسًى صغيرا للصيد بين بلاد زواوة وكتامة[1]، وساحل قلعة بني حماد، أي أن مرسى بجاية قام بدور الواجهة البحرية، والمرسى الذي تتم فيه مختلف الصفقات والتبادل التجاري لتصريف منتوجات قلعة بني حماد، وتصريف ما يجلب إليها ممن مختلف الأقاليم القريبة منها، كالزاب[2] وبلاد كتامة وزواوة[3]، لذلك لا نجد في المصادر العربية أي إشارة توضح وضعها خلال القرون الأربعة الأولى من التواجد الإسلامي، سوى إشارة واحدة من طرف ابن حوقل الذي يضعها ضممن قائمة المرافئ التي تفصل مدينة بونة عن جزائر بني مزغناي[4]، وأعطى كثيرا من التفاصيل عن اقتصاد المدينتين السابقتين، لكنه يكتفي بتعبير "مرسى" عند ذكره لبجاية، وهذا يدل على أنها كانت قديما ميناء فقط[5].

وارتبطت بجاية من الناحية البشرية بوجود التجار الأندلسيين[6] و القبائل المحلية ككتامة من جهة، واتخاذها كمرسى تجاري لقلعة بني حماد من جهة أخرى، حيث كانت السفن التجارية تفد إليها محملة، وهو الأمر الذي بدأ يكسبها أهمية اقتصادية، بفضل ربطها للتجارة الصحراوية بالتجارة البحرية المتوسطية[7].

وبعد تأسيس مدينة بجاية من قبل الأمير الحمادي الناصر بن علناس[8] واتخاذها عاصمة للحماديين، بدأت تعيش مرحلة جديدة من التطور والازدهار، وواصلت دورها القديم في المجال الاقتصادي، كمركز تجاري استقطب منذ البداية البحارة والتجار الأندلسيين خصوصا[1].

---

[1]- أسماء خلوط و عبد الحق شرف، الموانئ ودورها في تنشيط الملاحة البحرية والحركة التجارية بين المغرب الأوسط والأندلس(ق3-6هـ/10-12م)، "مجلة عصور الجديدة"، المجلد10، العدد01، جامعة وهران، الجزائر، 2020م، ص255.

[2]- الزاب: يقع هذا الإقليم وسط مفازات نوميديا، ويبتدئ غربا من تخوم مسيلة، ويحده شمالا مملكة بجاية، ويمتد شرقا إلى بلاد الجريد التي توافق مملكة تونس، وجنوبا إلى الصحراء المؤدية من تقرت إلى ورقلة، ويشمل هذا الإقليم خمس مدن وعددا كثيرا من القرى، أبرز هذه المدن مدينة بسكرة وطولقة والبرج.(أنظر: الوزان، المصدر السابق، ج2، ص138).

[3]- رفيق خليفي، المرجع السابق، ص139.

[4]- ابن حوقل، المصدر السابق، ص77.

[5]-شاكر مصطفى، المرجع السابق، ج1، ص189.

[6]- كان الأندلسيون الذين استوطنوا بجاية في القرون الأولى في الأصل تجار، آثروا البقاء في بجاية لمزاياها الصحية، عكس بونة. (أنظر: رفيق خليفي، المرجع السابق، ص140).

[7]- خديجة بورملة، المرجع السابق، ص45.

[8]- الناصر بن علناس: قام بأمر الحماديين سنة 454هن بعد قتله ابن عمه بلكين، تعتبر فترة حكمة من أزهى فترات بني حماد، وصلت طاعته إلى القيروان وتونس، ابتنى مدينة بجاية سنة 460هـ، وسماها الناصرية، وبنى قصر اللؤلؤة، ثم انتقل إليها سنة 461هـ، توفي سنة 481هـ.(أنظر: ابن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص230،231،232).

عملت السلطة الحمادية على إرساء مؤسسات تجارية وصناعية في بجاية، كتشييد دار لصناعة السفن، وبناء الأسواق، كسوق القيسارية، وباب البحر، والصوافين، والبزازين وغيرها، الأمر الذي ساهم في بروز المدينة السريع، وهكذا انفتحت بجاية على البحر المتوسط، وجلبت من تجارته قسما كبيرا من ازدهارها وتوسعها العمراني الملفت[2].

و يتوضح لنا مدى تأثير النشاط التجاري في تحول المدن وتطورها تحول مدينة بجاية وفي ظرف قصير جدا من قرية صغيرة على البحر، إلى عاصمة من عواصم بلاد المغرب الأوسط، وأدت دورا سياسيا بارزا، لكن دورها التجاري كان أكبر، حيث تحولت إلى أحد أهم المراكز والموانئ التجارية الكبرى في البحر المتوسط[3]، وازداد نشاطها، وأصبحت " السفن إليها مقلعة، وبها القوافل منحطة، والأمتعة إليها برا وبحرا مجلوبة، والبضائع بها نافقة"[4].

مدينة تدلس: لم تكن تدلس من المدن أو المراسي المشهورة قبل القرن السادس الهجري، حيث لا نجد لها ذكرا في المصنفات العائدة إلى ما قبل القرن السادس الهجري، وأول من ذكرها هو الإدريسي، ومن المرجح أنها كانت تابعة لمدينة بني جناد[5] على مقربة من مرسى الدجاج، التي تبعد عنها بأربع وعشرين ميلا، وتدلس من التي توجد بها جالية أندلسية من البحارة والتجار ضمن مجالات كتامة[6].

وتدلس مدينة قديمة ، استعملها الرومان كمرسى بحري للصيد، وكان يطلق عليها اسم (Rousoukkour) ، لكنها هجرت بعد الزلزال الذي حل بها سنة 415م، ولم تشهد ازدهارا بعد ذلك، إلى أن حل بها بنو صمادح ومن معهم من أندلسي المرية[7].

---

[1]- خديجة بورملة، المرجع السابق، ص48.

[2]- المرجع نفسه، ص48،49.

[3]- خديجة بورملة، المرجع السابق، ص52.

[4]- الإدريسي، المصدر السابق، ج1، ص260.

[5]- بني جناد: مدينة صغيرة على جبل، بينها وبين البحر نحو ميل، وهي في الطريق من القيروان إلى مرسى الدجاج.(أنظر: البكري، المصدر السابق، ص65).

[6]- رفيق خليفي، المرجع السابق، ص146.

[7]-نفسه.

ويَعْتَبِر عبد الرحمن الجيلالي ابن صمادح المؤسس الفعلي لمدينة تدلس، حيث اقترن ظهور تدلس وازدهارها التجاري والمعماري بنزول بني صمادح، بعدما أقطعهم الأمير الحمادي المنصور[1] أراضيها، فعملوا على تغيير حالها إلى الأحسن باستعمال مهارتهم في البناء والعمارة، وفلاحة الأرض، وبراعتهم في تنمية الأموال بالتجارة، فأصبحت المدينة بعد نزول هذه الجالية الأندلسية مركزا ثريا[2].

وأظهرت كتابات الإدريسي دور مرسى تدلس في تنشيط الحركة التجارية، وكيف كانت مرتبطة بمراسي جديدة في البحر المتوسط[3]، خصوصا بعد استقرار بني صمادح بها، حيث لعب ارتباطها التجاري مع بجاية على مكانتها، دورا بارزا في تطورها العمراني واتساع مساحتها[4].

مدينة مرسى الدجاج: عرفت مدينة مرسى الدجاج الاستقرار البشري منذ عهود قديمة، فقد كانت موجودة قبل وصول المسلمين إليها، يقول صاحب الاستبصار: " وهي قديمة البناء، وفيها آثار عجيبة للأول"[5]، وارتبط اسمها بطائر دجاج البحر المتوفر بكثرة في البحر القريب منها[6]

اشتهرت مدينة مرسى الدجاج لفترة زمنية امتدت من العهد الفاطمي إلى النصف الأول من القرن الرابع الهجري، العاشر الميلادي، إلى غاية العهد الموحدي في القرن 6هـ/12م، وقد بلغت مكانة مقبولة أواخر العهد الزيري، ومعظم الفترة الحمادية، إلى أن خربت عقب ثورة بني غانية[7] ضد الموحدين[8].

---

[1]- المنصور الحمادي (ت498هـ): المنصور بن الناصر بن علناس الحمادي، تولى أمر الحماديين بعد وفاة والده سنة 481هـ، حول عاصمة ملكه من القلعة إلى بجاية سنة 483هـ، وقام بتجديد بنائها، وتشييد جامعها، وتأنق في اختطاط المباني وتشييد المصانع والقصور..(أنظر: ابن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص232،234).

[2]- عبد الرحمن الجيلالي، تاريخ الجزائر العام، ط2، مكتبة الشركة الجزائرية، الجزائر، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، 1965م، ص374،375؛ رفيق خليفي، المرجع السابق، ص147.

[3]- الإدريسي، المصدر السابق، ج1، ص259.

[4]- علاوة عمارة، المرجع السابق، ص142،143؛ خديجة بورملة وعبد القادر بوباية، المرجع السابق، ص140.

[5]- مؤلف مجهول، الاستبصار، ص131.

[6]- إسماعيل بن النعمان، مدينة مرسى الدجاج من خلال النصوص التاريخية والبقايا الأثرية، "مجلة عصور الجديدة"، العدد19-20، جامعة وهران، الجزائر، 2015م، ص17.

[7]- بنو غانية: ينسبون إلى مؤسس بيتهم محمد المسوفي الذي ينسب إلى أمه، والتي كانت من بلاد غانة، أقطعم يوسف بن تاشفين بعض أعمال قرطبة، ثم أقطعهم الجزائر الشرقية(جزر البليار) سنة 541هـ/1146م، وظلوا يحكمونها إلى غاية سقوط المرابطين، أسرع بنو غانية بعدها بإعلان الثورة على الموحدين، وخاضوا معارك كثيرة معهم، استنزفت الكثير من الرجال والأموال من الطرفين.(أنظر: حسين مؤنس، معالم، ص225،226)

[8]-إسماعيل بن النعمان، المرجع السابق، ص15،16.

كان يسكن المدينة عدد قليل منم البشر ينسحبون منها خلال فصل الصيف خوفا من قدوم الأعداء بحرا[1]، ويتشكل هؤلاء السكان من قبيلة كتامة البربرية، والتجار والجاليات القادمة إليها من مختلف المناطق، خاصة الأندلسيين منهم[2]، فموقع المدينة ومرساها جعلا منها مركزا مهما لممارسة مختلف الأنشطة التجارية والبحرية[3]، وأكثر الوافدين على مرسى الدجاج التجار الأندلسيون الذين ساهموا في ازدهارها التجاري والعمراني كغيرها من المدن الساحلية في المغرب الأوسط كتنس وشرشال ووهران وتدلس[4]، وكان لوفرة خيرات المدينة من فواكه – خاصة التين — وقمح، وألبان، ومواشي ما زاد عن الحاجة، وأغرق الأسواق المجاورة، كما كانت تسكنه جالية أندلسية منذ القرن الرابع على الأقل[5].

وإذا علمنا أن أغلب الجالية الأندلسية التي أقامت في سواحل المغرب هم من التجار، وباعتبار أن الفترة الحمادية كانت فترة ازدهار مرسى الدجاج، فيمكننا القول أن ازدهار المدينة التجاري والعمراني رافق دخول الأندلسيين المدينة، فإذا قارنا بين وصف البكري لمدينة مرسى الدجاج، ووصف ابن حوقل يتبين لنا بأن المدينة تطورت، حيث تحدث البكري عن وجود أسواق وجامع، ويعود الفضل في هذا إلى الحضور الأندلسي المحترف، خاصة في مجال التجارة البحرية[6].

لقد كانت مدينة مرسى الدجاج تتوفر على جميع الناصر الثلاثة الأساسية لممارسة التجارة وازدهارها، وأول هذه العناصر المرسى، فقد كان الوسيلة التي يرجع إليها الفضل في إنشاء ووضع حجر الأساس للمدينة، فقد كان يمثل شريان المدينة الاقتصادي و أكسبها أهمية كبيرة من خلال ربطها بمدن ما وراء البحر، وربط المدن الداخلية بهذه المدن، من خلال جعله وسيطا يربط مدنهم بمدن الضفة الأخرى، وبه تبرز المدينة ويصبح من صفاتها الغالبة على الصفات الأخرى، وتلقب حينها بالمدينة المرفأ[7].

---

[1]– الإدريسي، المصدر السابق، ج1، ص259.

[2]– البكري، المصدر السابق، ص65.

[3]– أسماء خلوط، المرجع السابق، ص259.

[4]– إسماعيل بن النعمان، المرجع السابق، ص17.

[5]– ابن حوقل، المصدر السابق، ص77؛ رفيق خليفي، المرجع السابق، ص140.

[6]– البكري، المصدر السابق، ص65؛ علي عشي، التوجه البحري للمغرب الأوسط وأثره في طرق التجارة والمواصلات(2-10هـ/8-16م)، أطروحة لنيل درجة دكتوراه علوم في التاريخ الوسيط، جامعة باتنة1، 2017/2016م، ص144.

[7]– إسماعيل بن نعمان، المرجع السابق، ص20.

ومن المعايير التي تحدد أهمية المدينة موقعها بالنسبة إلى الطرق التجارية (أنظر: الملحق رقم 2، ص105)، وهذا ما يتوفر في مرسى الدجاج، ولعل أهم طريق هو الذي يربطها بمدينة ميورقة[1] وأساسه المرسى الذي يستقبل السفن من وإلى المدينة[2]، بالإضافة إلى الطرق البرية الداخلية والساحلية التي تربط مرسى الدجاج بمدن أشير والقيروان والمسيلة والقلعة، ومدن أخرى كسوق حمزة، ووقوعها على الطريق الساحلي الرابط بين برقة والمحيط الأطلسي، مما أكسبها موقعا تجاريا هاما[3].

إلى جانب الطرق تلعب الأسواق دورا أساسيا في تطور المدن تجاريا وعمرانيا، ويشير البكري إلى وجود أسواق داخل أسوار مدينة مرسى الدجاج ، وهي تنشط في وسط أحيائها[4]، ومن خلال الموقع المتميز للمدينة فإن هذه الأسواق كانت نشيطة وفي حركية دائمة بفعل وجود العوامل المحفزة على النشاط، كالقرى والأرياف المحيطة بها، والطرق التي تربطها بالحواضر الأخرى، والمرسى الذي يمثل الواسطة التي تربط بين الطرق البرية والبحرية الواصلة إلى الضفة الأخرى [5]، وعليه فإن المدينة كانت تتوفر على جميع المؤهلات التي تجعلها مركزا ومحطة تجارية هامة، الأمر الذي ينعكس على حجمها وازدهارها العمراني.

مدينة تنس: تعتبر مدينة تنس من أهم المراكز التجارية الساحلية في بلاد المغرب، وقد ارتبطت نشأتها في القرن الثالث الهجري، بالتواجد الأندلسي، حيث كان معظم سكانها من التجار الأندلسيين، الذين ترددوا في القرنين الثاني والثالث على سواحل المغرب، كتجار البيرة[6] وتدمير[7] ومختلف المدن الأندلسية الأخرى[8] فقد وصفها اكثير من الجغرافيين بأنها عدوة الأندلسيين، يقصدها الأندلسيون بسفنهم وتجارتهم ويفضلونها على غيرها،

---

[1]- ميورقة: كبرى جزر البليار، مساحتها3640 كم^2، أي ما يعادل ثلاثة أرباع جزر البليار بأجمعها، وهي تتوسط جزيرتي منورقة في الشمال وإبيزا في الجنوب.(أنظر: عصام سالم بسالم، المرجع السابق، ص19-25).

[2]- البكري، المصدر السابق، ص65.

[3]- إسماعيل بن نعمان، المرجع السابق، ص21.

[4]- البكري، المصدر السابق، ص65.

[5]- إسماعيل بن نعمان، المرجع السابق، ص20.

[6]- البيرة: كورة أندلسية شرق قرطبة، يفصلها عنها تسعون ميلا.(أنظر: الحموي، المصدر السابق، مج1، ص244).

[7]- تدمير: كورة بالأندلس تتصل بأحواز كورة جيان، وهي شرقي قرطبة، بينهما سبعة أيام للراكب، وهي مجاورة جزيرة يابسة من جزر البليار.(أنظر: الحموي، المصدر السابق، مج2، ص19).

[8]- جودت عبد الكريم ، الأوضاع الاقتصادية، ص359.

وهي أكبر المدن التي يتعدى منها أهل المشرق وأهل إفريقية إلى الأندلس، ومنها كانت مراكب الأندلس تمتار القمح وتستورد مختلف أنواع الحبوب[1].

وهكذا فإن ابتداء أمر تنس كان سوقا بدأ ينمو ويجذب الناس إليه، ويبدوا أن الأرباح التي حققتها القبائل المجاورة هي التي دفعت بها إلى دعوة التجار الأندلسيين إلى قلعة تنس لكي يتخذوها سوقا ويجعلوها سكنى[2].

ومن أشهر التجار الأندلسيين الذين سكنوا تنس تذكر المصادر: الكركدن وابن عائشة والصقر وصهيب، الذين شرعوا في بناء وتأسيس تنس الحديثة، وذلك سنة 262هـ/875م، وأخذوا يمارسون تجارة التصدير والاستيراد، فلم يزالوا في تزايد ثروة وعدد، حتى أغرى ذلك بعض الأندلسيين الذين لم يسبق لهم ارتياد المدينة، إلى الهجرة نحو تنس، كما أغرى أهل سوق إبراهيم، فرحلوا إليها في أربعمائة بيت، فلاقوا ترحابا وعونا من أهل تنس الحديثة[3]، وانعكس هذا الرخاء والزيادة في عدد السكان على نمو المدينة العمراني حيث زاد عدد البيوت والأسواق، واتسعت المدينة[4].

وهكذا استمرت مدينة تنس في ريادة المحطات التجارية للمغرب الأوسط في العهدين الحمادي والموحدي على السواء بفضل جهود الأندلسيين ومهارتهم التجارية التي أخذها عنهم مع مرور الوقت سكان تنس الأصليين[5].

مدينة وهران: وصفها العبدري (ت 720هـ/1321م) في رحلته بالمدينة المليحة، الحصينة، البرية و البحرية، وقد كانت مرسىً لتلمسانَ وأنظارها ومتجرا لتلك النواحي[6].

تتشابه ظروف تأسيس وهران بظروف تأسيس مدينة تنس، فقد ارتادها البحارة والتجار الأندلسيين باعتبارها سوقا مركزيا للمنطقة، وجعلوها قاعدة تجارية ينطلقون منها إلى الأندلس وما حولها، وسكنوها مع قبائل

---

[1]- ابن حوقل، المصدر السابق، ص78؛ البكري، المصدر السابق، ص61؛ الحموي، المصدر السابق، ج2، ص48؛ الحميري، المصدر السابق، ص138.

[2]- البكري، المصدر السابق، ص61؛ جودت عبد الكريم ، الأوضاع الاقتصادية، ص359.

[3]- رفيق خليفي، المرجع السابق، ص143.

[4]- جودت عبد الكريم ، الأوضاع الاقتصادية، ص360.

[5]- خديجة بورملة وعبد القادر بوباية، المرجع السابق، ص136.

[6]- العبدري محمد البلنسي (ت 720هـ/1321م)، الرحلة المغربية، تق: سعيد بوفلاقة، ط1، منشورات بونة للبحوث والدراسات، عنابة، الجزائر، 1428هـ-2007م، ص211.

يقال لهم بنو مسكن، ولما كانت المنطقة تتصف بخصب أراضيها فقد حصل فائض من الإنتاج الفلاحي، فرض عليها الدخول في الميدان التجاري، فنتج عن ذلك ثراء سكانها، الذين بدأوا ينزعون إلى حياة الاستقرار والتمدن[1].

بنى مدينة وهران محمد بن أبي عون، ومحمد بن عبدون، وجماعة من الأندلسيين الذين ينتجعون مر سى المدينة سنة 290هـ/902م[2]، ويؤكد ذلك صاحب الاستبصار حين يصفها فيقول:" هي مدينة على ضفة البحر، بناها جماعة من الأندلسيين البحريين بسبب المرسى..."[3].

ويلاحظ على وهران نموها البطيء، حتى أن الجغرافيين الأوائل لم يشيروا إلها في وصفهم لمدن المغرب، فاليعقوبي وابن الفقيه لم يشيروا إلى وجودها بتاتا، وهذا يعني أنها حتى نهاية القرن الثالث الهجري لم تكن وهران سوى مرسى تجاري تحوم حوله مجموعة منمساكن التجار[4]، ويرجع بطئ نموها إلى عدة ظروف، أهمها:

- إحاطتها بمدن أكثر أهمية، كانت أقطابا تجلب السكان إليها كتلمسان وتنس وغيرها[5].

- الفتن[6] الداخلية التي خربت فيها المدينة، وأضرمت النار في أبنيتها، وكان ذلك مرتين، سنة 297هـ، وسنة343هـ[7]

اقترنت نشأة مدينة وهران بمستلزمات التجارة البحرية بين العدوتين الأندلسية والمغربية، وبالبنية القبلية في آن واحد، فقد اتفق أصحاب الأرض على إنشاء المدينة[8]، وشهدت في نهاية القرن الثالث الهجري تطورا واسعا وكبيرا في عمرانها، ونشاطها الاقتصادي والاجتماعي، بعد أن وصل إليها عدد كبير من المهاجرين الأندلسيين

---

[1]- عبد الكريم جودت ، الأوضاع الاقتصادية، ص363.

[2]- البكري، المصدر السابق، ص70؛ جودت عبد الكريم يوسف، الأوضاع الاقتصادية، ص363.

[3]- مجهول، الاستبصار، ص133.

[4]- عبد الكريم جودت يوسف، الأوضاع الاقتصادية، ص364.

[5]- نفسه.

[6]- فتن وهران: الفتنة الأولى سنة (297هـ/910م) حيث زحفت فيها قبائل كثيرة للثأر من بني مسقن، ومن سكان المدينة، فحاصرت وهران ثم خربتها وأضرمتها نارا، أما التخريب الثاني فكان على يد يعلى بن محمد بن صالح اليفرني سنة (343هـ/910م) (أنظر: جودت عبد الكريم، الأوضاع الاقتصادية، ص364،365).

[7]- رفيق خليفي، المرجع السابق، ص143.

[7]- رفيق خليفي، المرجع السابق، ص143.

[8]- خديجة بورملة وعبد القادر ببوباية، المرجع السابق، ص136.

حاملين معهم خبراتهم المعمارية ومهاراتهم الفنية والصناعية وأنشطتهم التجارية، وقد وقع الاختيار على وهران لتميزها بصلاحيات جغرافية عديدة، أهلت وهران لتكون مرسىً بحريا تجاريا آمنا[1]، كان حجر الأساس في تأسيس المدينة.

مدينة سبتة: تقع على ضفة البحر الرومي، وهو بحر الزقاق الداخل من البحر المحيط، وهي في طرف من الأرض من الغر ب إلى الشرق ضيق جدا، والبحر محيط بها شرقا وشمالا وقبليه[2]، ويقول عنها ابن حوقل: "... مدينة لطيفة على نحر البحر، وبها بساتين وأجنَّة تقوم بأهلها، وبها مرسى قريب الأمر، وقد تقدم أن بها معدن المرجان"[3]، وبهذا يكون ابن حوقل قد ميَّز سبتة أنها ذات موقع بحري ممتاز، وأنها مركز زراعي أيضا، كما وصف مرساها بأنه قريب من المدينة، وهذا ما يسهل وينشط الحركة التجارية منها وإليها.

ويؤكد ابن سعيد على نشاط سبتة التجاري البحري بقوله: " وهذه المدينة بين بحرين، وهي ركاب البرين، تشبه الاسكندرية في كثرة الحط والإقلاع، وفيها التجار الأغنياء الذين يبتاعون المركب بما فيه من بضائع الهند وغيرها في صفقة واحدة..."[4].

وميناء سبتة المذكور، يعد أكثر نقط المضيق قربا من العدوة الشمالية(الأندلس)، وقد لعب دورا كبيرا في الحركة التجارية، إذ كانت القوافل البحرية تصل إلى ميناء المدينة من كل نواحي المغرب، خاصة من فاس و سجلماسة، لتفرغ حمولتها في الفنادق المعدة للتجار، وقد كان تجار سبتة من أغنى تجار المغرب الأقصى نتيجة لما اشتهرت به من صناعات محلية، كصناعة النحاس والسجاد، وأيضا معالجة المرجان وتحويله، فكانت بذلك سبتة سوقا تجاريا رئيسيا[5].

وبما أن دور التجارة أساسي في بناء المدن وتطورها، فإن الموقع التجاري الهام للمدينة وموانئها جعلها محط أنظار التجار من كل الأقطار، لممارسة التجارة فيها والمكوث بها، وهذا ما ساعد على ازدهار المدينة من الناحية العمرانية، وبخاصة المرافق والمنشآت ذات الطابع الاقتصادي التجاري كالأسواق التي بلغ عددها مائة وأربعة

---

[1]- ابن حوقل، المصدر السابق، ص79.

[2]- البكري، المصدر السابق، 102،103.

[3]- ابن حوقل، المصدر السابق، ص79،80.

[4]- ابن سعيد، الجغرافيا، ص139؛ ابن سعيد، بسط الأرض، ص73؛ مؤلف مجهول، الاستبصار، ص137؛ الحميري، المصدر السابق، ص303.

[5]- عيسى بن الذيب، المغرب والأندلس في عصر المرابطين: دراسة اجتماعية واقتصادية (480-540هـ/1056-1145م)، رسالة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ الوسيط، جامعة الجزائر، الجزائر، 2008/2009م، ص386.

وسبعون سوقا، والحوانيت التي يقدر عددها في المدينة بأربعة وعشرين ألف حانوت منتشرة في جميع أرجائها، بينما بلغ عدد الفنادق ثلاثمائة وستين فندقا مخصصة لإيواء الغرباء من التجار والمسافرين وغيرهم[1].

المطلب الثاني: المدن الداخلية:

مدينة القيروان: عرفت القيروان تطورا عمرانيا سريعا إثر مدة قصيرة من سنة التأسيس (50هـ/670م)[2]، شأنها في ذلك شأن الأمصار الإسلامية الجديدة، وقد كان لمركزها الديني والسياسي وموقعها الجغرافي على المسلك الرئيسي بين الأندلس وبلاد المغرب والمشرق الإسلامي، وموانئ المدن التجارية المغربية، دورا كبيرا في تطورها العمراني، لتصبح مركزا اقتصاديا هاما، حيث لم تمض سوى مدة قصيرة على إنشائها حتى ازدهر عمرانها وكثر ساكنها[3]، ويصف ابن عذارى ذلك بقوله: " أخذ الناس في بناء الدور والمساكن، والمساجد، وعمرت، وشد الناس إليها المطايا من كل أفق، وعظم قدرها"[4].

وإلى جانب هذه العوامل فقد كان العامل الاقتصادي المتمثل في التجارة أساسا في التحول والتطور العمراني السريع، مستغلا تطور التجارة الصحراوية، وتدفق سلعتي الذهب والرقيق من بلاد السودان إلى مراكز التجارة المغربية[5].

وما يعكس دور التجارة في ازدياد عمران مدينة القيروان، المكانة التي أصبح يتبوؤها التجار في المدينة، حيث أصبحت فئة بارزة بعد تأسيس المدينة بمدة قصيرة، وقدموا إليها من كل البقاع، وأصبح يؤم القيروان تجار من المشرق والأندلس ومختلف مدن المغرب[6]، والأكيد أن هؤلاء ساهموا في زيادة عمران المدينة.

وتكشف المعلومات التي أدلى بها المؤرخون أن عقبة بن نافع لم يغفل عند تخطيطه مدينة القيروان عن الأهمية التي يكتسيها السوق في حياة المدينة عامة، وهو ما جعله يختط الأسواق حول المسجد الجامع، وتوضح لنا أسماء أبواب المسجد طبيعة هذه الأسواق، وخصائص كل سوق منها، فهذا باب الصرافين، والآخر باب

---

[1]- بغداد عربي، المرجع السابق، ص137.

[2]- يتفق جميع المؤرخين والبلدانيين أن سنة تأسيس القيروان هي 50هـ/670م، ولم ترد روايات أخرى تخالف ذلك.(أنظر: عبد الجبار ناجي، المرجع السابق، ص247.

[3]- الحبيب الجنحاني، المرجع السابق، ص91.

[4]- ابن عذارى، المصدر السابق، ج1، ص21.

[5]- الحبيب الجنحاني، المرجع السابق، ص92.

[6]- المرجع نفسه، ص111،112.

الصباغين، والرماحين وغيرهم حسب التجارة الرائجة في ذلك الشارع، ونوع السلعة التي كانت تعرض في تلك الجهة، وهو دليل على رواج التجارة وتنوعها ومساهمتها في زيادة العمران[1].

لقد وصفت القيروان بكثرة أسواقها ونشاط الحركة التجارية فيها، وظلت هذه الأسواق تعكس وضع المدينة الاقتصادي فترة من الزمن، ويذكر ابن حوقل أنها أكثر مدن المغرب تجارة، وأموالا، وأحسنها أسواقا[2]، وبذلك غدت القيروان أهم مدينة تجارية وصناعية في المغرب، إلى جانب أهميتها السياسية والدينية[3].

إن الإشارات المشتتة هن وهناك في كتب الطبقات إلى أحياء القيروان، وخططها، ودروبها، وفنادقها، تعطي فكرة واضحة عن أهمية السوق في التقدم العمراني في المدينة، فقد بلغ طول الشارع التجاري الرئيس بالقيروان، ميلين وثلثا ميل، أي ما يزيد عن ثلاث كيلومترات ونصف[4]، وباعتبار أن هذه المسافة تحاط بالبنايات البنايات المدنية والمنشآت التجارية، فإنه يظهر لنا تأثير التجارة في ازدياد العمران وتطور المدن.

وقد ظلت شهرة أسواقها قائمة إلى غاية 337هـ/948م، تاريخ بناء مدينة صبرة[5] من قبل إسماعيل وسماها المنصورية، وكانت متصلة بالقيروان، لكن ابنه معد بن إسماعيل[6] اتخذ خطوة أدت إلى نتائج اقتصادية كارثية بالنسبة إلى القيروان، إذ نقل جميع أسواقها وصناعاتها وتجارتها إلى مدينة صبرة، وهذا ما أدى إلى ضعفها وقلة أهميتها[7]، وهذا دليل آخر على أهمية التجارة، حيث أن ازدهار المدينة أو ضعفها متعلق بمدى رواج نشاطها التجاري.

---

[1]- المقدسي، المصدر السابق، ص225.

[2]- ابن حوقل، المصدر السابق، ص94.

[3]- أرشيبالد .ر. لويس، القوى البحرية والتجارية في حوض البحر المتوسط (500هـ/1100م)، تر: أحمد محمد عيسى ومحمد شفيق غربال، دط، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، دت، ص330.

[4]- الحبيب الجنحاني، المرجع السابق، ص93.

[5]- صبرة: بلدة متصل بالقيروان، تسمى المنصورية، بناها المنصور الفاطمي سنة سبع وثلاثين وثلاثمائة.(أنظر: البكري، المصدر السابق، ص25)

[6]- معد بن إسماعيل: هو المعز لدين الله الفاطمي، أبوتميم معد بن المنصور القائم بن المهدي، أول من ملك مصر والشام، وتولى شؤون الحكم بالمغرب بعد وفاه والده المنصور في أواخر شوال342هـ/952م.(أنظر: عبد الحميد حسين حمودة، المرجع السابق، ص392).

[7]- البكري، المصدر السابق، ص25؛ عبد الجبار ناجي، المرجع السابق، ص260.

مدينة سوق حمزة: تقع سوق حمزة على سهل سفيح يعرف بسهل حمزة[1] الذي نسبت إليه المدينة، ويذكر أن حمزة بن الحسن بن سليمان هو من قام ببنائها[2]، ونظرا لأن إدريس الثاني عقد على تلمسان لمحمد بن سليمان[3] حوالي 202هـ/817م، بات من المحتمل أن بناء مدينة حمزة كان في أوائل القرن الثالث الهجري[4].

إن وقوع سوق حمزة على طريق دولي يربط المشرق بالمغرب، و على طرق داخلية فرعية اشتهرت باتساع دائرة التبادل التجاري فيها، هيأ لها بأن تنتقل إلى حياة التمدن[5].

ويبدو من خلال الاسم الذي أطلقه عليها بانيها (سوق حمزة) أنها كانت مدينة تجارية بالدرجة الأولى، وأن هذه الصبغة غلبت عليها، ويؤكد موقعها في سهل على الغاية التجارية من بنائها، واستبعاد أية غاية عسكرية، فربما كانت في نشأتها محطة تجارية تجتمع فيها القبائل المجاورة لتقوم بعمليات تبادل تجاري مع القوافل المارة، ثم أخذت تلك المحطة تنمو وتتطور لما عاد إليها موقعها من رخاء[6].

مدينة سوق إبراهيم: يتفق المؤرخون على أن مدينة سوق إبراهيم تنسب إلى مؤسسها الذي يدعى إبراهيم، لكنهم اختلفوا حول شخصيته، ويشير اليعقوبي إلى أنها آخر مدن العلويين باتجاه تاهرت، ويجعلها بين المدينة الخضراء[7] و تاهرت[8]، أما ابن حوقل فيجعلها على نهر شلف[9]، أما مبارك الميلي فيقرب موقعها اكثر، ويجعلها حيث مصب نهر آسلي في شلف[10].

---

[1]- حمزة: حمزة بن الحسن بن سليمان بن سليمان الحسني ملك هاز من أرض المغرب، وملك أقواما من صنهاجة، وإليه ينسب سوق حمزة.(أنظر: بوزياني الدراجي، دول الخوارج والعلويين في بلاد المغرب والأندلس، دط، دار الكتاب العربي، الجزائر، 2007م، ص468).

[2]- البكري، المصدر السابق،ص64،65؛ اليعقوبي، المصدر السابق، ص12.

[3]- محمد بن سليمان: محمد بن سليمان بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب القائم بالمغرب.(أنظر: ابن حزم، المصدر السابق، ص48)؛ تولى ملك والده سليمان، وقام بتوزيع عمالات الدولة ومقاطعاتها على أبنائه.(أنظر: ابن خلدون، المصدر السابق، ج4، ص34،36).

[4]- جودت عبد الكريم ، الأوضاع الاقتصادية، ص355.

[5]- نفس المرجع، ص356.

[6]- جودت عبد الكريم، الأوضاع الاقتصادية، ص356.

[7]- المدينة الخضراء: مدينة جليلة في بلاد المغرب، كثيرة البساتين، يجعلها البكري في الطريق من تنس إلى بجاية، تحدها مدينة مليانة غربا.(أنظر: البكري، المصدر السابق، ص61).

[8]- اليعقوبي، المصدر السابق، ص192.

[9]- ابن حوقل، المصدر السابق، ص89.

[10]- مبارك الميلي، تاريخ الجزائر في القديم والحديث، تق: محمد الميلي، ج1، دط، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، دت، ص109.

وكان شأن هذه المدينة شأن سوق حمزة، حيث أن اسمها يوحي بوظيفتها، فظهور كلمة سوق على اسمها يدل على أنها مدينة تجارية بالدرجة الأولى، وليست لها أي صفة عسكرية دفاعية، حيث اكتسبت أهميتها من وقوعها على الطريق الرئيسي الرابط شرق المغرب بغربها، وموقعها يدل على أمرها ابتدأ كمحطة تجارية على الطريق من الخضراء إلى تنس، ومن الخضراء إلى تاهرت، ثم أخذت تنمو وتزدهر بفضل التجار الوافدين إليها من التجار[1].

مدينة تاهرت: تقع تاهرت في سفح جبل جزول على ارتفاع 1100 متر، تشرف على منطقة تلول منداس، على الطريق الموصلة من هذه المنطقة إلى ساحل البحر المتوسط، عابرة لسهول وادي شلف، ووجود تاهرت قرب منطقة سباسب الشاسعة الصالحة للمرعى، سيجعل منها مركز اتصال مستمر بين البدو الرحل، وسكان المدن والقرى، وهو ما ساعد على ازدهار الحركة التجارية في المدينة[2]، وبين تاهرت والمسيلة ست مراحل، وبينها وبين القيروان تسع عشرة مرحلة[3].

ولقد جاء تطور الحركة العمرانية بالمدينة نتيجة ازدهارها الاقتصادي، وبخاصة تجارتها، حيث أصبحت ملتقى لطريقين رئيسيين أديا دورا بارزا في الحياة التجارية المغربية من القرن التاسع الميلادي إلى القرن الثاني عشر الميلادي، فهي تقع على الطريق من الشرق إلى الغرب، الذي يربط البلاد المصرية حتى المحيط الأطلسي، ويربط المدن الواقعة على حدود الصحراء مع تجارة بلاد السودان، وطريق الجنوب- شمال، الذي يربط بلاد السودان والمدن الصحراوية بشواطئ البحر المتوسط[4]، ووقوع تاهرت على هذه الطرق، وتوسطها قبائل الناحية، جعلها سوقا تقصدها القبائل وتصلها القوافل من كل الأقطار[5].

وقد كان هذا الازدهار التجاري الكبير الذي أضحت مدينة تاهرت تحتله الأثر الكبير في وجود التجار من مختلف الأقطار، والقبائل، حيث " أتتهم الوفود والرفاق من كل الأمصار، وأقاصي الأقطار"[6]، وزاد العنصر

---

[1]- جودت عبد الكريم ، الأوضاع الاقتصادية، ص362،363.

[2]- الجنحاني، المرجع السابق، ص120.

[3]- البكري، المصدر السابق، ص89،90.

[4]- الجنحاني، المرجع السابق، ص122.

[5]- فطيمة مطهري، مدينة تاهرت الرستمية دراسة تاريخية حضارية (القرن 2-3هـ/8-9م)، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في تاريخ المغرب الإسلامي، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان، 2010/2009م، ص194.

[6]- ابن الصغير، المصدر السابق، ص32.

الغريب فيها، وزاد النشاط التجاري الداخلي حيوية، إذ أن الكثير من هؤلاء التجار اتخذوها مستقرا لهم، ولم يقصدوها عابرين أو سائحين، بل من أجل ممارسة التجارة[1]وكان لهؤلاء الوفود دور في تعمير المدينة، حيث يذكر أن مبانيها كانت موزعة بين أحياء مختلفة، ومقسمة إلى نواحي، اختصت كل قبيلة وجنس بناحية[2]، ونتيجة لهذا التوسع العمراني الكبير، والتوافد عليها من مختلف الأقطار، أصبحت " لا ترى دارا إلا وقيل هذه لفلان الكوفي، وهذه لفلان البصري، وهذا مسجد البصريين، وهذا مسجد الكوفيين"[3].

مدينة إفكان: قامت مدينة إفكان في منطقة خصبة على الطريق الرئيسي بين تاهرت و تلمسان العابر إلى المغرب الأقصى، مما سمح لها أن تدخل باب حركة تجارية دولية كان لها تأثير حضاري على المنطقة، ويظهر أنها ابتدأت سوقا للقبائل الزناتية التي كانت تقطنها، ثم تطورت أمورها ، حتى أصبحت مدينة[4].

حيث يذكر البكري أن موضعها كان سوقا قديمة من أسواق زناتة، ويبدو أن انهيار تاهرت المعروفة بازدهارها التجاري ترك المجال أمام السوق القائم في موضع إفكان ليأخذ مكانته، مما أتاح ليعلى بن محمد بن صالح اليفرني[5] أن يمدنها سنة 338هـ/954م، بعد أن ارتحل إليها أهل تاهرت ويلل وشلف بني واطيل ووهران وقصر الفلوس، فعمرت وتمدنت وعظمت[6].

ساهم الوافدون على المدينة في بناء المنشآت والمرافق الضرورية، كالجامع، والحمامات، ومنشآت التجارة كالخانات، والفنادق، ولما كانت التجارة عاملا مهما في ثراء أهلها، فقد كانت القصور من الكثرة ماجعل ابن حوقل يشير إلى حمامات وأرحية وقصور إفكان[7]، وعليه يمكن اعتبار مدينة إفكان مثالا حيا على المدن التي كانت التجارة السبب الأول في نشأتها.

---

[1]- السعيد كداد، البادية والمدينة في المغرب الأوسط خلال العصر الوسيط، مذكرة مكملة لنيل شهادة الماستر تاريخ القرون الوسطى، جامعة المسيلة، 2014/2013م، ص37.

[2]- جودت عبد الكريم ، الأوضاع الاقتصادية، ص350.

[3]- ابن الصغير، المصدر السابق، ص32.

[4]- عبد الكريم جودت، الأوضاع الاقتصادية، ص370.

[5]- يعلى بن محمد بن صالح اليفرني: أمير من أشراف البربر، من أهل تاكرونة، كانت له مدينة إفكان في إفريقية استقلالا، ابتدأ بتأسيسها سنة 338هـ وفي هذه السنة دخل وهران وملكها، قتل على يد الفاطميين غدرا.(أنظر، الزركلي، المصدر السابق، ج6، ص204).

[6]- البكري، المصدر السابق، ص79.

[7]- ابن حوقل، المصدر السابق، ص88.

مدينة جراوة أبي العيش:(259هـ/870م) سميت جراوة باسم قبيلة بربرية كانت هناك، وهي على ستة أميال من البحر، وعلى مرحلة من وادي ملوية إلى ناحية تلمسان[1]، ويذكر البكري أنها قامت في سهل من الأرض، يحيط بها سور مبني بالطوب، وحول السور أرباض من جميع جهاتها، ابتناها أبو العيش عيسى بن إدريس[2]، محاطة بأراض سهلية صالحة للزراعة والرعي، والمياه فيها وفيرة[3]، الأمر الذي حقق لها اكتفاء ذاتيا في مجال الغذاء، بل زاد عن حاجتها، فوجهوا زراعتهم إلى التجارة فظهرت منهم طبقة من الأثرياء ساهموا في ازدهار المدينة اقتصاديا وعمرانيا[4].

ومما زاد في أهميتها، موقعها الذي يقع على الطريق الرئيسي الخارج من تلمسان باتجاه فاس فالأندلس، والذي كان معمورا بالمارة[5]،ويرجح أن المكان كان سوقا تجتمع فيه قرىً من مطغرة، وبني يفرن، و ودانة، ويغمر الجبل، وبني راسين، وغيرهم من القبائل البربرية[6]، والأكيد أن هذه الظروف ساعدت على بناء وتطوير المدينة.

مدينة فاس: ورد ذكر مدينة فاس كثيرا في المصادر الجغرافية والتاريخية العربية، التي أكدت على أهمية موقعها الجغرافي، ودورها التجاري والسياسي خلال العصور الوسطى، ففي وقت متقدم وصفها ابن حوقل بأنها مدينة جليلة، ووصف خصوبة تربتها[7]، في حين يذكر الإدريسي أنها كانت محل استقطاب الزوار والتجار من كل الأصقاع، وأصبحت مقصد القوافل وشدِّ الركاب[8]، فهي قطب ومدار لمدن المغرب الأقصى، ويرجع ذلك إلى ما تميزت به من موقع في قلب البلاد، مع تنوع في المحاصيل الزراعية، والصناعات المختلفة، ما جعل أسواقها حافلة بأنواع البضائع المختلفة، التي كانت تسد حاجة المدينة وتزيد[9].

---

[1]- الميلي، المرجع السابق، ج2، ص111.

[2]- أبو العيش عيسى بن إدريس بن محمد بن سليمان الحسني الطالبي أبو العيش، امير من آل سليمان بن عبد الله، المقتول بفخ، ولد ونشأ في تلمسان وبنى مدينة جراوة وتولى إمارتها وتوفي بها.(أنظر: الزركلي، المرجع السابق، ج5، ص100).

[3]- البكري، المصدر السابق، ص142؛ الميلي، المرجع السابق، ج2، ص111؛ جودت عبد الكريم، الأوضاع الاقتصادية، ص357.

[4]- جودت عبد الكريم، الأوضاع الاقتصادية، ص157.

[5]- المرجع نفسه، ص370.

[6]- البكري، المصدر السابق، ص142؛ جودت عبد الكريم، الأوضاع الاقتصادية، ص357.

[7]- ابن حوقل، المصدر السابق، ص89.

[8]- الإدريسي، المصدر السابق، ص148.

[9]- حماد فضل الله الصالحين صالح، تاريخ المغرب الأقصى الاقتصادي والاجتماعي في عصر المرابطين448-541هـ/1056-1146م، رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجستير، جامعة بنغازي، ليبيا، 2012م، ص54.

وإضافة إلى خيراتها، فإن موقعها المتوسط الواقع على الطريق المؤدي إلى بلاد السودان، إذ يربطها طريق إلى الشرق عبر ممر تازا، كما يربطها طريقان تجاريان مع أغمات وسجلماسة مدخلي القوافل إلى بلاد السودان[1]، فضلا عن الطرق التجارية التي تربطها بمينائي طنجة وسبته، واللذين يعدان من أهم المرافئ التجارية على البحر المتوسط[2]، هذا الموقع أهلها لتكون محور المسالك التجارية ومحطة انتقال وتزود مهمة للقوافل الواردة والرافدة إلى المغرب، فعاد ذلك إليها بازدهار الحركة التجارية ونشاطها، حتى أصبحت قبلة لأرباب الأموال والقوافل التجارية، وفي ذلك يقول الحميري: "إليها تشد الركائب وتقصد القوافل، وتجلب إلى حضرتها كل غريبة من الثياب، والبضائع، والأمتعة، وأهلها مياسير، ولها من كل شيء حصين أوفر حظ"[3]، ويذكر أن تجارا من الهند سكنوا بفاس وزاولوا أنشطتهم التجارية بها بعدما استوطنوها[4].

هذا الاستقطاب الذي عرفته مدينة فاس من الزوار والتجار، والثراء الذي عرفته ساكنتها بسبب تجارتها، ساهم بشكل كبير في اتساعها، فازدهرت عمارتها، وزادت حماماتها، وخاناتها[5].

ولا أدل على أهمية ازدهار فاس العمراني وعلاقته بالتجارة، أكبر من الوصف والإحصائيات الدقيقة التي قدمها إلينا صاحب جنى زهرة الآس حول ما توفر بها من مرافق ومنشآت عمرانية مختلفة، خاصة ما تعلق منها بالجانب التجاري، حيث يصفها أنها بلغت من العمارة ما لم يبلغه مطان بالمغرب قاطبة، ويتجلى ذلك في إحصاء عدد حوانيتها الذي بلع تسعة آلاف حانوت ومائتان وثمانون، وقدر فنادقها أربعمائة وستين فندقا، بالإضافةإلى قيسارية في كل عدوة، ناهيك عن المنشآت الأخرى، كدور السكة، وأفران الخبز، وأحجار عمل الكاغد، ودور الفخار، وغيرها مما يتعلق بالأنشطة الصناعية والحرفية التي تساهم في ازدهار التجارة، وفي نفس الوقت ازدهار العمران[6].

---

[1]- البكري، المصدر السابق، ص146،154.

[2]- نفس المصدر، ص ص109،111،113،115.

[3]- الحميري، المصدر السابق، ص434.

[4]- بغداد عربي، المرجع السابق، ص144.

[5]- ابن حوقل، المصدر السابق، ص89.

[6]- الجزنائي أبو الحسن علي(عاش في القرن 8هـ/14م)، جنى زهرة الآس في بناء مدينة فاس، تح: عبد الوهاب ابن منصور، ط2، المطبعة الملكية، الرباط، المغرب، 1991م، ص44،45؛ ابن أبي زرع، المصدر السابق، ص47-49؛ عبد الأحد السبتي و حليمة فرحات، المرجع السابق، ص105.

المطلب الثالث: المدن الصحراوية.

مدينة وارجلان: نجدها عند البكري وارجلان، وعند ابن سعيد واركلان، وعند الإدريسي وارقلان، وتسمى حاليا ورقلة، وهي مدينة صحراوية يجعلها ابن سعيد في الجزء الثاني من الإقليم الثالث، حيث الطول عشرون درجة ونصف، والعرض أربع وعشرون درجة ونصف وعشر دقائق[1]، وهي مدينة تتوسط طريق الصحراء الذي يربط بين تادمكة والقيروان، وهي محصنة بسبعة حصون[2]، وهو ما جعلها مركزا تجاريا مهما، فأهلها تجار أغنياء يتمتعون باليسر والغنى بفضل تجارتهم المستمرة، إلى غانة وبلاد السودان، خاصة باتجاه نقارة التي يجلبون منها التبر ويضربونه عملة[3].

كانت وارجلان في عهد الرستميين تحت سلطة أئمتهم، لدلك حظيت باهتمام كبير من طرف أمراء الدولة وتجارها، فكان التاجر يخرج من تاهرت ويأخذ الطريق إلى وارجلان مارا بعدة مدن أهمها حصن ابن كرام عبر المتيجة، إلى إمارة هاز العلوية[4]، إلى أن يصل إلى مقرة، ثم طبنة، ومنها إلى بسكرة المحطة الأخيرة قبل الدخول إلى وارجلان عاصمة التجارة الصحراوية[5].

اشتهرت وارجلان بغنى سكانها وثروتهم الكبيرة التي كان مصدرها الحركة التجارية، وتجارة العبور التي أهلها موقعها الممتاز في الطريق بين الشرق والغرب، وبين الشمال والجنوب، عند ملتقى عدد من الطرق التي تنطلق منها، وتمر بها، بين سجلماسة، و تمبكت، و وغانة ،وتوات، وغرداية، وتلمسان، وغدامس، وغيرها من المدن[6].

لقد سهمت العوامل المذكورة سابقا في نمو المدينة وتطورها عمرانيا، فقد كان للجانب التجاري أثر على زيادة عدد السكان بها، وعلى نماء المدينة وتوسعها، ورفع مكانتها بين بقية المدن[7]، فقد كانت التجمعات

---

[1]- ابن سعيد، الجغرافيا، ص126.

[2]- البكري، المصدر السابق، ص182.

[3]- الإدريسي، المصدر السابق، ص296.

[4]إمارة هاز: إمارة في بلاد المغرب، تقع بالقرب من عين بوسيف الحالية، ضمت قطيعا من صنهاجة، أسسها حمزة بن الحسن بن سليمان.(أنظر: بوزياني الدراجي، المرجع السابق، ص468).

[5]- مبارك بوطارن ومحمد نجيب خلف، الدور التجاري لمدينة ورقلة في العصر الوسيط، ص61.

[6]- إسماعيل العربي، الصحراء، ص159.

[7]- مبارك بورطان و محمد نجيب خلف، المرجع السابق، ص63.

السكانية على أطراف وارجلان من التجار الوافدين تزداد وتتطور، خاصة مع إنشاء الأسواق (أنظر: الملحق رقم 3، ص105) والمحلات التجارية الخاصة بهم، إضافة إلى الفنادق والخانات والوكالات وغيرها[1].

مدينة أغمات: تعد مدينة أغمات من أهم حواضر المغرب الإسلامي في العصر الوسيط، إذ يصفها الجغرافيون بالمدينة المزدهرة، وهي مدينتان سهليتان، أحدهما تسمى أغمات إيلان، والأخرى أغمات وريكة، وهي مسكن للتجار الغرباء الوافدين من مختلف الأماكن، وساحلها رباط قوز على البحر المحيط، وفيه تنزل السفن التجارية من جميع البلاد[2]، ويمكننا أن نستشف من خلال ما ذكره البكري عن تقسيم أغمات، أنها كانت مقسمة إلى مدينة إدارية، ومدينة تجارية وهي أغمات وريكة، و يتجلى دور التجارة واضحا في بناء أغمات وريكة.

ويصف اليعقوبي أغمات بأنها بلد خصب فيه المراعي والمزارع، وجبل أهله قوم من البربر[3]، وهي خصائص تدل على وفرة المياه، ووفرة المواد الاستهلاكية الموجهة إلى التجارة، خاصة إذا علمنا أن لأغمات علاقات تجارية مع المدن المغربية، ومع مدن السودان الغربي، حيث يذكر ابن حوقل علاقاتها مع برغواطة[4]، فيقول: " وكان لأغمات علاقات تجارية مع برغواطة"[5].

ووصف الإدريسي أهلها بأنهم يمتلكون رؤوس أموال ضخمة نتيجة التجارة، حيث أشار إلى ذلك في قوله: " وهم أملياء، تجار مياسير، يدخلون إلى بلاد السودان بأعداد الجمال الحاملة لقناطير الأموال"[6]، وهذا دليل على النشاط التجاري الكبير في المدينة، وأن أهلها كانوا يمتلكون مالا وفيرا، وهذا بالتأكيد يعود بالإيجاب على ازدهار الحركة العمرانية في المدينة.

---

[1]- عبد الرزاق خالدي، المرجع السابق، ص115.

[2]- البكري، المصدر السابق، ص153؛ عبد الأحد السبتي و حليمة فرحات، المرجع السابق، ص100.

[3]- اليعقوبي، المصدر السابق، ص199.

[4]- برغواطة: دولة خارجية صفرية، تأسست سنة 127هـ/744م، أسسها طريف الصفري وابنه صالح الذي نسبت إليه النحلة البرغواطية في إقليم تامسنا بمنطقة الدار البيضاء الحالية.(أنظر: بزياني الدراجي، المرجع السابق، ص33).

[5]- ابن حوقل، المصدر السابق، ص83.

[6]- الإدريسي، المصدر السابق، ص232.

مدينة سجلماسة: اتفقت روايات المؤرخين على أن سنة 140هـ/757م كانت سنة تأسيس سجلماسة، كما اتفق أغلبهم على أنها مدينة محدثة[1] من طرف عيسى بن يزيد الأسود، من موال العرب، وقيل مدرار بن عبد الله، حيث كان يدين ومن معه من مكناسة والبربر بدبن الصفرية من الخوارج[2].

تمتاز مدينة سجلماسة بمكانة اقتصادية هامة، حيث يصفها ابن حوقل بأنها مركز تجاري مهم، خاصة في التجارة مع بلاد السودان، وبها أرباح متوفرة، ورفاق متقاطرة، وأهلها قوم سراء مياسير[3].

ولقد كان موقع سجلماسة مراحا يجتمع فيه البربر في موسم معين من السنة للتسوق، وينتجع إليه أهل المواشي، ثم لجأ إليه الصفرية، وبدأوا بتعميرها، لتتحول منم سوق إلى مدينة[4]، وقد سكنها أخلاط من الأجناس من مختلف النواحي، والغالبون عليها البربر من صنهاجة[5]، ويعود الفضل في تأسيسها إلى قبيلة مكناسة، الذين أخذوا المذهب الصفري عن أبي القاسم سمكو، الذي كان يأتي إلى السوق المذكور بماشيته[6]، وسكنها التجار من أهل الكوفة والبصرة وبغداد، واندمجوا مع السكان المحليين، وتأثروا بهم، ومن بين تأثيرات الكوفيين على المدينة، بناياتها، فقد كانت أبنيتها كأبنية الكوفة، وأبوبها رفيعة وقصورها مشيدة[7].

ويعود الفضل في ازدهارها المعماري، ومظاهر الترف في الحياة الاجتماعية، وهجرة الناس إليها من كطل الأقطار إلى شهرتها التجارية، ومركزها الحساس في مفترق الطرق الهامة في تاريخ التجارة المغربية في العصر الوسيط، ولا نبالغ إذا قلنا أن سجلماسة كانت مركزا تجاريا عالميا عصرئذ، ومغريا، خاصة بالنسبة إلى تجارة الذهب والرقيق، اللذين كانا سببا في استقرار فئات من التجار بها، الذين بدورهم أثروا في الفن المعماري للمدينة، فأصبحت مدينة متسعة الأرجاء، ذات أحياء مختلفة، حسب ساكنها، يحيط بها سور يحتوي على اثني عشرة بابا، ونجد في ضواحيها أرباضا كثيرة[8].

---

[1]- الجنحاني، المرجع السابق، ص142.

[2]- ابن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص172.

[3]- ابن حوقل، المصدر السابق، ص96.

[4]- الجنحاني، المرجع السابق، ص145.

[5]- اليعقوبي، المصدر السابق، ص198.

[6]- البكري، المصدر السابق، ص149.

[7]- ابن حوقل، المصدر السابق، ص90.

[8]- الجنحاني، المرجع السابق، ص147.

ومن مظاهر الازدهار العمراني في سجلماسة، توفر المدينة على عدد من المرافق المتعلقة بالتجارة، كالقيساريات، والفنادق المتوفرة في كل شوارع المدينة، إضافة إلى الأسواق، وحتى الحمامات، وهو دليل على تأثير نشاطها التجاري على ازدهارها العمراني[1].

ختاما يمكننا القول أن هذه بعض نماذج مدن بلاد المغرب التي كانت التجارة سببا في بنائها، أو على الأقل من الأسباب التي ساهمت في اختيار موقعها.

لقد كان للتجار الأندلسيين دورا هاما في بناء الكثير من المدن الساحلية لبلاد المغرب، كما ساهموا في تطوير وازدهار مدن أخرى بفضل نشاطهم التجاري.

تعددت أسباب بناء المدن الداخلية والصحراوية المذكورة، ولكن النشاط التجاري كان من الأسباب الرئيسية التي أدت إلى إنشاء هذه المدن، خاصة تلك الواقعة على تصالب الطرق التجارية الرئيسية، أو المدن التي كان أول أمرها سوقا.

[1]- بغداد عربي، المرجع الاسبق، ص147.

الخاتمة

وفي الأخير و من خلال دراستنا للأوضاع الاقتصادية، وأوضاع النشاط التجاري بالمغرب، ودراستنا لنشأة المدن بالمغرب بعد الفتح الاسلامي، توصلنا إلى مجموعة من النتائج العامة، نجملها في النقاط التالية:

- تمتع المغرب الإسلامي بموقع جغرافي هام، وإطلالة ساحلية مميزة، على واجهتين بحريتين، جعلته حلقة وصل ونقطة عبور بين مختلف الأمصار.

- احتوت بلاد المغرب الإسلامي على مقومات اقتصادية كبيرة شملت كل من المنتوجات الفلاحية و الصناعية، اضافة إلى المعادن والمواد المستخرجة من البحر، هذه المنتوجات زادت عن حاجة سكان المغرب في أغلب الأحيان فحملت إلى البلدان والمدن المجاورة.

- لقد ساهم موقع بلاد المغرب وانفتاحه على العالم الخارجي، في خلق عدد كبير من الطرق والمسالك البرية والبحرية الهامة التي ربطته بمختلف الأقاليم، وساهمت بشكل كبير في رواج وتوثيق العلاقات التجارية بين مختلف الأقاليم، كالمشرق الإسلامي، و أوربا وبلاد السودان.

- ساهمت عدة عوامل في ازدهار الحركة التجارية لبلاد المغرب الإسلامي كالمؤسسات التجارية التي تشكلت في المراكز التجارية الهامة، والتي تمثلت في القناصل والفنادق ودور الصناعة والمخازن وغيرها، والتي ساهمت بدورها في زيادة إعمار المدن وتوسعها.

- عرفت موانئ المغرب الإسلامي نشاطا تجاريا واسعا، جعلها نقطة التقاء التجار من كل الأمصار، وسوقا تجاريا كبيرا لتبادل السلع والمنتجات بين أقاليمها وحواضرها الداخلية، وبين الأقاليم الخارجية، كالأندلس والمدن الإيطالية والمشرق الإسلامي.

- نستنتج من دراستنا للمدن المغربية الناشئة بين القرنين (1-6هـ/8-13م) أنها خضعت للشروط المتعارف عليها في الفكر العمراني الإسلامي، والتي توجب توفر خمسة شروط لإنشاء المدينة، نهر جاري، محرث طيب، محتطب قريب، سور حصين، سوق نافقة.

- يتضح مما سبق أن تركيب وتنظيم المدن المغربية في العصور الوسطى يكون بتمركز المدينة حول المسجد الجامع وقصر الحاكم والسوق التجاري، وهذه هي الفلسفة التي سنها الرسول صلى الله عليه وسلم في تنظيم المدينة المنورة، وسارت عليها معظم المدن الإسلامية الناشئة.

- إن المدينة المغربية كما هي خاضعة لظروف تاريخية وسياسية وعسكرية، فإنها خاضعة أيضا لوضعها الجغرافي والاقتصادي، وتوسطها شبكة من الطرق التجارية الهامة.

- نستنتج وجود علاقة تناسبية بين التطور العمراني والازدهار التجاري، فكلما ازدهرت الأوضاع التجارية، أنشئت المدن وازدهرت، وكلما ضعفت التجارة، وكسدت الأسواق في مدينة معينة، تردت أوضاعها، وأصبحت أقرب إلى الخراب منها إلى الإعمار والازدهار.

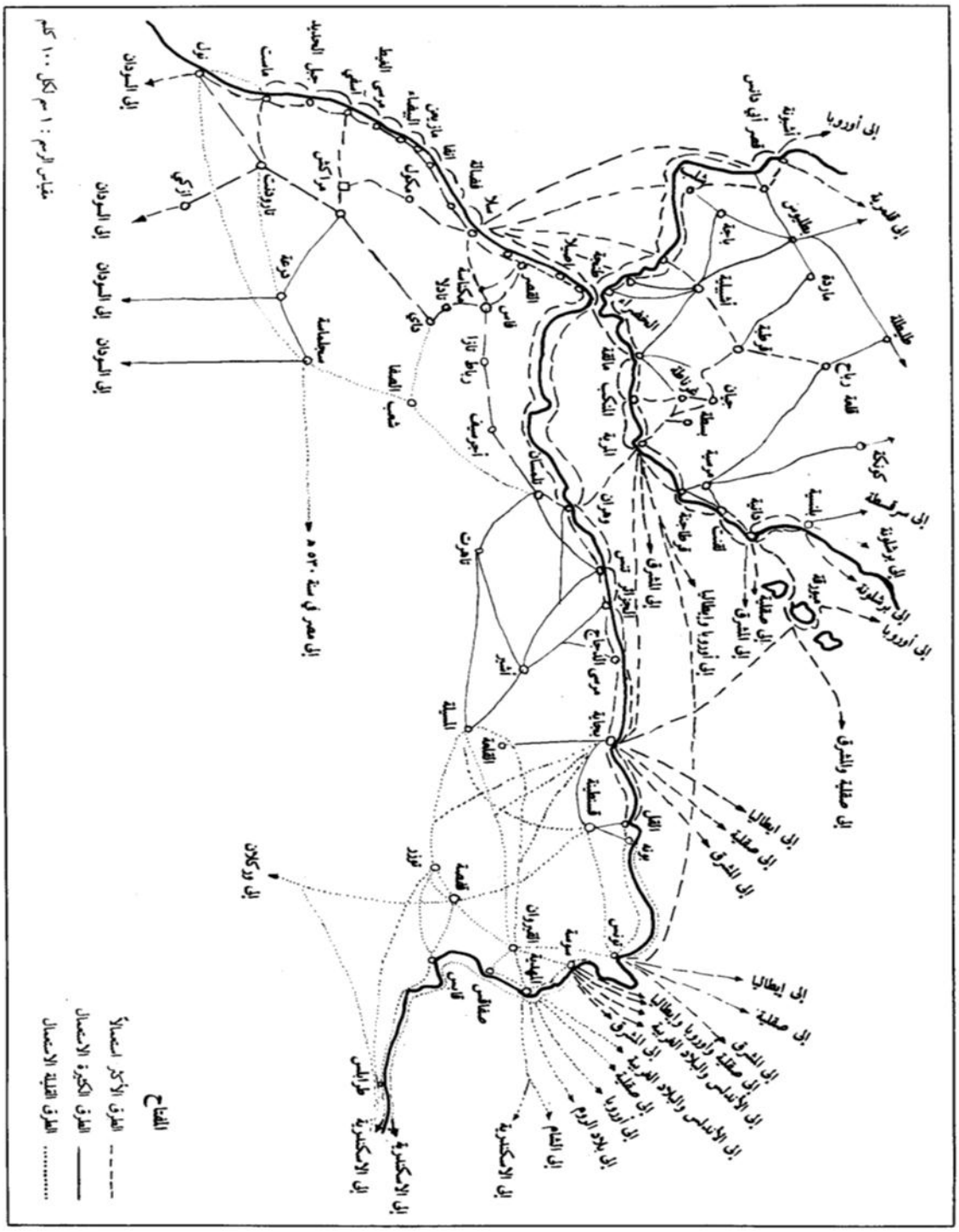
- إن التطور الكبير الذي شهدته التجارة الصحراوية المعتمد أساسا على بضاعتي الذهب والرقيق، قد أظهرت تجمعات سكانية في مختلف مراكز التجارة المؤسسة على طول المسالك التي كانت تربط الصحراء بموانئ البحر المتوسط، لتتشكل بذلك مدن جديدة على طول هذه التجمعات.

- إن الكثير من المدن الداخلية والساحلية والصحراوية ببلاد المغرب، كان منشؤها الأول لا يعدو أن يكون سوقا أو مرسىً صغيرا للتجارة، أو مجرد منطقة عبور تجارية، ثم تطورت شيئا فشيئا لتصبح مدنا ذات أهمية تجارية وسياسية كبيرة في بلاد المغرب الإسلامي.

- كان لتزايد نشاط البحارة الأندلسيين ببلاد المغرب دورا هاما في تطور ونمو حركة العمران في بلاد المغرب الإسلامي، وذلك ببناء مدن جديدة و إعادة إحياء مدن قديمة أصبح لها شأن معتبر، خصوصا على الصعيد التجاري.

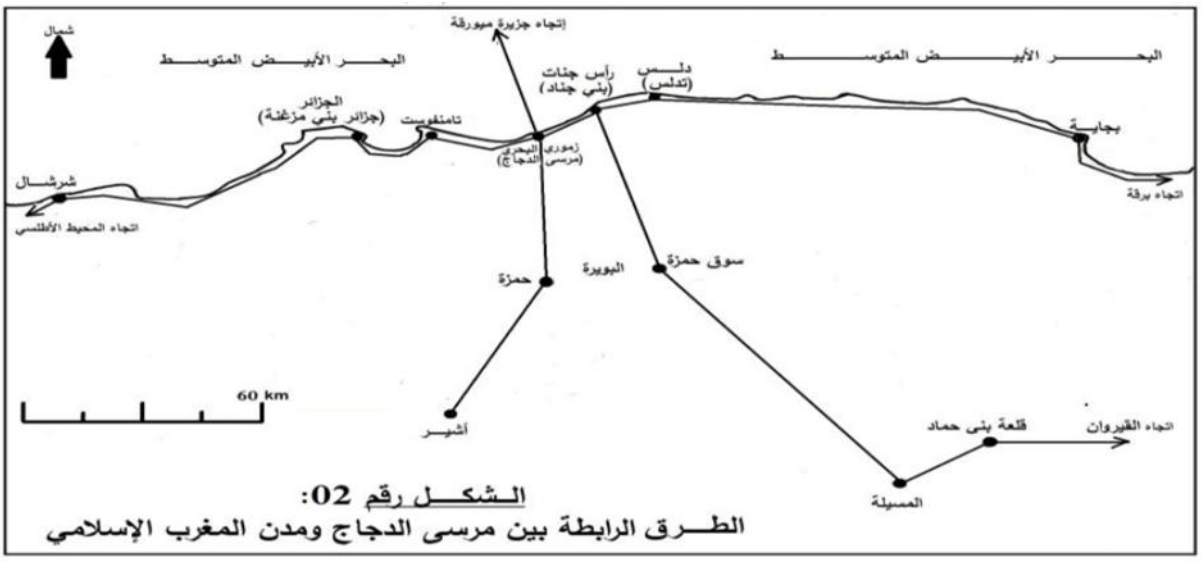
- وأخيرا نستنتج من خلال النصوص التاريخية والجغرافية الدور البارز الذي لعبته التجارة في نشأة المدن في بلاد المغرب الإسلامي، حيث أنه توجد مدن كان عامل تأسيسها تجاريا بحت، كالمدن التي كانت بدايتها سوقا، كسوق إبراهيم، وسوق حمزة، وجراوة أبي العيش، أو المدن التي كانت محطات تجارية على تصالب الطرق التجارية الرئيسية أو الفرعية، كوارجلان، وسجلماسلة، ومدينة ورقلة، والمدن الساحلية التي أنشأها التجار الأندلسيون، مثل مدن تنس، وهران، و دلس، ومدنا أخرى كانت التجارة عاملا من بين عدة عوامل أخرى ساهمت في نشأتها، كالقيروان، وفاس، وتاهرت.

الملاحق



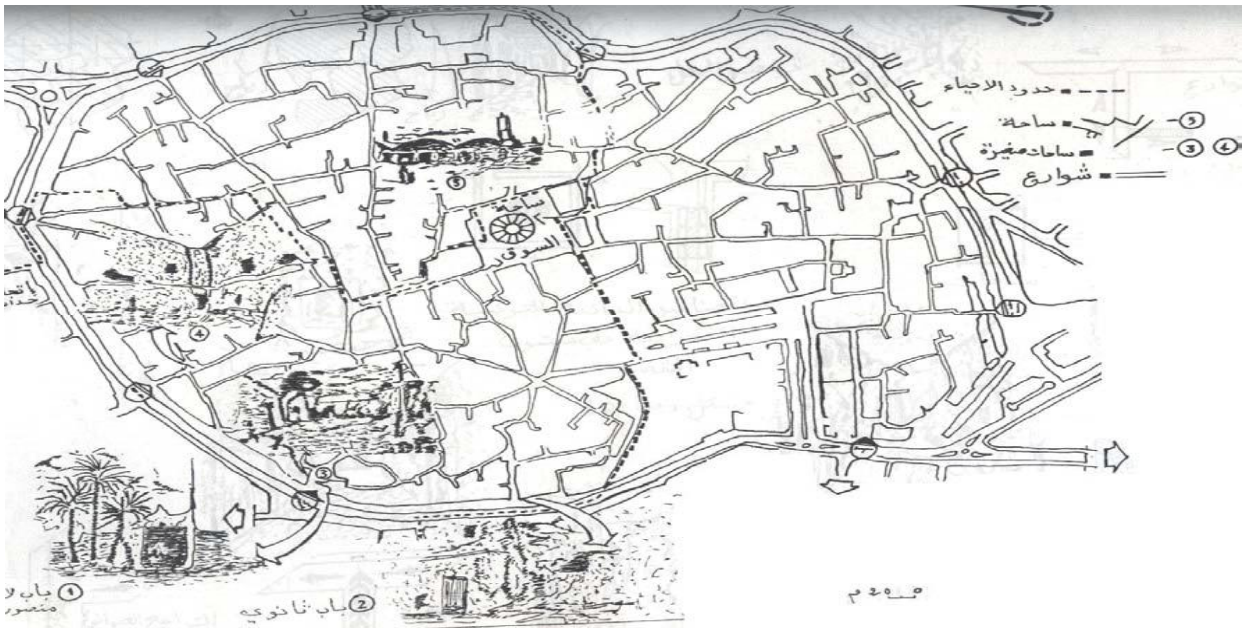
الملحق رقم1: مختلف الطرق التجارية لبلاد المغرب الإسلامي في النصف الثاني من القرن السادس الهجري[1].

[1] - عزالدين أحمد موسى، المرجع السابق، ص307.



الشكـــل رقم 02:
الطـــرق الرابطة بين مرسى الدجاج ومدن المغرب الإسلامي

الملحق رقم2: موقع مدينة مرسى الدجاج، والطرق الرابطة بينها وبين مدن المغرب الإسلامي[1].



الملحق رقم3: تمركز السوق وسط مدينة وارجلان[2]

[1]- إسماعيل بن نعمان، المرجع السابق، ص11.

[2]-خالدي عبد الرزاق، المرجع السابق، ص116.

قائمة المصادر

و المراجع

قائمة المصادر والمراجع:

أولا: القرآن الكريم.

ثانيا: الأحاديث النبوية.

1) ابن ماجه ابو عبد الله محمد بن يزيد القزويني، (ت273هـ/886م)، سنن ابن ماجه، تح: رائد صبري بن أبي علقة، ط1، بيت الأفكار الدولية، الأردن، 2007.

ثالثا: المصادر العربية والمعربة:

1) ابن الأثير أبي الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني(ت630هـ/1233م).

-أسد الغابة في معرفة الصحابة، ط1، دار ابن حزم، بيروت، لبنان، 1433هـ/2012م.

-الكامل في التاريخ، تح: أبي الفداء عبد الله القاضي، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان،1987م.

3) الإدريسي أبي عبد الله محمد بن محمد بن عبد الله (ت 560هـ/1154م)، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، ج1، ج2، دط، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 2002م.

4) ابن الأزرق أبي عبد الله(896هـ/1493م)، بدائع السلك في طبائع الملك، تح: علي سامي النشار، ج2، دط، منشورات وزارة الثقافة والفنون، العراق، دت.

5) الإصطخري أبي إسحاق إبراهيم بن محمد(ت346هـ/957م)، مسالك الممالك، دط، دار صادر، بيروت، لبنان، دت.

6) الأصفهاني الراغب أبي القاسم الحسين بن محمد(ت502هـ/1108م)، المفردات في غريب القرآن، تح: مركز الدراسات والبحوث بمكتبة نزار مصطفى الباز، ج1،ج2، دط، مكتبة نزار مصطفى الباز، دت.

7) ابن بطوطة محمد بن عبد الله اللواتي(ت 779هـ/1377م)، رحلة ابن بطوطة المسماة: تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، تح: عبد الهادي التازي، مج4، دط، أكاديمية المملكة المغربية، الرباط، المغرب، 1417هـ/1997م،.

8) البكري أبي عبيد الله(ت 487هـ/1094م)، المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب، دط، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، دت.

9) الجزئاني علي، جنى زهرة الآس في بناء مدينة فاس، تح: عبد الوهاب بن منصور، ط2، المطبعة الملكية، الرباط، المغرب، 1991م.

10) ابن حزم ابي محمد علي بن أحمد بن سعيد(ت465هـ/1064م)، جمهرة أنساب العرب، تح: عبد السلام محمد هارون، ط5، دار المعارف، القاهرة، دت.

11) ابن عبد الحكم(ت257هـ/871م)، فتوح مصر والمغرب، تح: عبد المنعم عامر، ج1، ج2، ط1، شركة الأمل للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، 1987.

12) الحميري محمد بن عبد المنعم(توفي أواخر القرن 9هـ/15م)، الروض المعطار في خبر الأقطار، تح: إحسان عباس، ط2، مكتبة لبنان، بيروت، 1975م.

13) ابن حوقل أبي القاسم(عاش في القرن4هـ/10م)، صورة الأرض، دط، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان، 1992م.

14) ابن خرداذبة أبي القاسم عبد الله بن عبد الله(عاش في القرن 3هـ/9م)، المسالك والممالك، دط، مطبعة بريل، ليدن، 1889م.

15) ابن خلدون عبد الرحمن بن محمد(ت 808هـ/1405م)،تاريخ ابن خلدون المسمى ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، تح: خليل شحادة وسهيل زكار، ج1، ج6، دط، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، 2000م.

16) ابن أبي الربيع شهاب الدين أحمد بن محمد(ت227هـ/842م)، سلوك المالك في تدبير الممالك، تح: عبد العزيز ين فهد بن عبد العزيز آل سعود، ط1، دار العاذرية للنشر والتوزيع، الرياض، 2010.

17) ابن أبي زرع أبو الحسن عبد الله الفاسي(ت 726هـ/3325م)، الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، دط، دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط، 1972م.

18) أبي زكريا يحي بن أبي بكر، سير الأئمة وأخبارهم، تح: إسماعيل العربي، ط2، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، دت.

19) الزهري أبي عبد الله محمد بن أبي بكر(توفي أواسط القرن 6هـ/12م)، كتاب الجغرافية، تح: محمد حاج صادق، ط1، مكتبة الثقافة الدينية، بور سعيد، مصر، دت.

20) ابن سعيد المغربي أبي الحسن علي بن موسى(ت 685هـ/1286م)، كتاب الجغرافيا، تح: اسماعيل العربي، ط1، منشورات المكتب التجاري للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 1970م.

21) السلاوي أحمد بن خالد الناصري(ت1297هـ/1897م)، الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، تن: لغليطي عبد الحميد وسويسي جمال، ج1، دط، مكتبة نبراس الصفا التاريخية.

22) ابن الصغير المالكي(عاش في القرن 3هـ/9م)،أخبار الأئمة الرستميين، تح: محمد ناصر و إبراهيم بحاز، دط، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، دت.

23) العبدري محمد البلنسي(ت720هـ)، الرحلة المغربية، تق: سعيد بوفلاقة، ط1، منشورات بونة للبحوث والدراسات، بونة، الجزائر، 2007م.

24) ابن عذارى أحمد بن محمد المراكشي(كان حيا عام715هـ/1312م)، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، تح: ح. س. كولان و ليفي بروفنسال، ج1، ط3، دار الثقافة، بيروت، لبنان، 1983.

25) العمري ابن فضل الله شهاب الدين أحمد بن يحي(ت749هـ/1348م)، مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، تح: كامل سليمان الجبوري، ج4، ط1،دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 2010م.

26) الغبريني أبو العباس أحمد بن أحمد بن عبد الله(ت 714هـ/1315م)، عنوان الدراية فيمن عرف منم العلماء في المائة السابعة ببجاية (644هـ/714هـ)، تح: عادل نويهض، ط2، دار الآفاق الجديدة، بيروت، لبنان، 1989م.

27) أبي الفدا عماد الدين إسماعيل بن محمد بن عمر(ت 732هـ/1331م)، تقويم البلدان، دط، دار صادر، بيروت، دت.

28) ابن الفقيه أبي عبد الله أحمد بن محمد بن إسحاق الهمذاني(ت340هـ/951م)، كتاب البلدان، تح: يوسف الهادي، ط1، عالم الكتاب، بيروت، لبنان، 1996م.

29) القزويني زكرياء بن محمد بن محمود(ت682هـ/1283م)، آثار البلاد وأخبار العباد، دط، دار صادر، بيروت، دت.

30) القلقشندي أبي العباس أحمد(ت810هـ/1408م)، صبح الأعشى، ج2، دط، المطبعة الأميرية، القاهرة، 1322هـ/1914م.

31) كربخال مارمول(عاش في القرن10هـ/16م)، إفريقيا، تر: حمد حجي وآخرون، ج1، ج2،ج3، دط، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرباط، 1984م.

32) ليون الإفريقي الحسن بن محمد الوزان الفاسي(ت 957هـ/1550م)، وصف إفريقيا، تر: محمد حجي ومحمد الأخضر، ج1، ج2، ط2، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1983م.

33) الماوردي أبي الحسن علي بن محمد، الأحكام السلطانية(ت450هـ/1058م) ، تح: أحمد جاد، دط، دار الحديث، القاهرة، مصر، 1427هـ/2006م.

34) المراكشي عبد الواحد بن علي(ت669هـ/1270م)، المعجب في تلخيص أخبار المغرب، تح: محمد سعيد العريان، دط، لجنة إحياء التراث الإسلامي، الجمهورية العربية المتحدة، دت.

35) المقدسي شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر الشامي(ت380هـ/990م) ، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ط2، مطبعة بريل، ليدن، 1906م.

36) المقري أحمد بن محمد التلمساني(ت1441هـ/1631م)، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تح: إحسان عباس، ج1، دط، دار صادر، بيروت، لبنان، 1408هـ/1988م.

37) كاتب مراكشي من كتاب القرن (6هـ/12م)، الاستبصار في عجائب الأمصار، وصف مكة والمدينة ومصر وبلاد المغرب، تع: سعد زغلول عبد الحميد، د.ط، دار النشر المغربية، الدار البيضاء، 1985م.

38) مؤلف أندلسي مجهول من أهل القرن الثامن الهجري، الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية، تح: سهيل زكار و عبد القادر زمامة، ط1، دار الرشاد الحديثة، الدار البيضاء، المغرب، 1979م.

39) ياقوت الحموي شهاب الدين أبي عبد الله بن عبد الله(ت626هـ/1228م)، معجم البلدان، د.ط، دار صادر، بيروت، 1977م.

40) اليعقوبي أحمد بن أبي يعقوب، البلدان، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 2002م.

رابعا: القواميس والمعاجم.

1) الزركلي خير الدين(ت1396هـ/1976م)، الأعلام قاموس تراجم لأشهر الرجال و النساء من العرب والمستعربين والمستشرقين، ج6، ط7، دار العلم الملايين، بيروت، لبنان، 1986م.

2) محمد عتريس، معجم بلدان العالم .آخر التطورات السياسية .أحدث البيانات الإحصائية، ط1، الدار الثقافية للنشر، مصر، 2000م.
3) ابن منظور محمد بن مكرم بن علي(ت711هـ)، لسان العرب، تح: عبد الله علي الكبير، دط، دار المعارف، دت.
4) يحي مراد، معجم أسماء المستشرقين، دط، د د ن، دت.

خامسا: المراجع العربية والمعربة.

1) إبراهيم القادري بوتشيش، تاريخ الغرب الإسلامي، قراءات جديدة في بعض قضايا المجتمع والحضارة، ط1، دار الطليعة، بيروت، لبنان، 1994م.
2) عبد الأحد السبتي و حليمة فرحات، المدينة في العصر الوسيط قضايا ووثائق من تاريخ الغرب الإسلامي ، ط1، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، 1994م.
3) أحمد مختار العبادي، في تاريخ المغرب والأندلس، دط، دار النهضة العربية، بيروت، دت.
4) ارشيبالد لويس ، القوى البحرية والتجارية في حوض البحر المتوسط (500-1100م)، دط، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، دت.
5) إسماعيل العربي، الصحراء الكبرى وشواطئها، دط، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، دت.
6) بوزياني الدراجي، دول الخوارج والعلويين في بلاد المغرب والأندلس، دط، دار الكتاب العربي، الجزائر، 2007م.
7) بوفيل، تجارة الذهب وسكان المغرب الكبير، تر: الهادي أبو لقمة و محمد عزيز، ط2، منشورات جامعة قاريونس، بنغازي، ليبيا، 1988م.
8) عبد الجبار ناجي، دراسات في تاريخ المدن العربية والإسلامية، ط1، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، بيروت، لبنان، 2001.
9) جودت عبد الكريم يوسف:
- الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية في المغرب الأوسط خلال القرنين الثالث و الرابع الهجريين (9-10م)، دط، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، دت.
- العلاقات الخارجية للدولة الرستمية، دط، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984م.

11)الحبيب الجنحاني، المجتمع العربي الإسلامي. الحياة الاقتصادية والاجتماعية، دط، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 2005.

12)عبد الحميد حسين حمودة، تاريخ المغرب في العصر الإسلامي منذ الفتح الإسلامي وحتى قيام الدولة الفاطمية، ط1، الدار الثقافية للنشر، القاهرة، 2006م.

13)حسين مؤنس:

- فتح العرب للمغرب، دط، مكتبة الثقافة، القاهرة، مصر، دت.
- معالم تاريخ المغرب والأندلس، ط4، دار الرشاد، القاهرة، 2000م.

15)راغب السرجاني، قصة الأندلس من الفتح إلى السقوط، ج1، ط1، مؤسسة إقرأ للنشر والتوزيع والترجمة، القاهرة، 1432هـ/2011م.

16)عبد الرحمن بن محمد الجيلالي، تاريخ الجزائر العام، ط2، مكتبة الشركة الجزائرية، الجزائر، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، 1965م.

17)سعد زغلول عبد الحميد، تاريخ المغرب العربي منذ الفتح إلى بداية عصر الاستقلال(ليبيا وتونس والجزائر والمغرب)، ج3، دط، منشأة المعارف، الإسكندرية، مصر، 1993م.

18)سوادي عبد محمد وصالح عمار الحاج، دراسات في تاريخ المغرب الإسلامي، ط1، المكتب المصري لتوزيع المطبوعات، القاهرة، 2004م.

19)شارل أندري جوليان، تاريخ إفريقيا الشمالية. تونس. الجزائر. المغرب الأقصى. من البدء إلى الفتح الإسلامي 647م،تع:محمد مزالي والبشير بن سلامة، ط2،مؤسسة تاوالت الثقافية، 2011.

20) شوقي أبو خليل، أطلس التاريخ العربي والإسلامي، ط5، دار الفكر، دمشق، 2002م.

21)طارق السويدان، الأندلس التاريخ المصور،ط1، شركة الإبداع الفكري، الكويت، 1426هـ/2005م.

22)عباس نصر الله سعدون، دولة الأدارسة في المغرب الأقصى(172-223هـ/788-835م)، ط1، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، 1987م.

23)عزالدين أحمد موسى، النشاط الاقتصادي في المغرب الإسلامي خلال القرن السادس الهجري، ط1، دار الشرق، بيروت، 1403هـ/1983م.

24) علاوة عمارة، دراسات في التاريخ الوسيط للجزائر والغرب الإسلامي، دط، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، دت.

25) مبارك الميلي، تاريخ الجزائر في القديم والحديث، تق: محمد الميلي، ج1، ج2، دط، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، دت.

26) محمد عبد الستار عثمان، المدينة الإسلامية، دط، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 1988م.

27) محمد عيسى الحريري، الدولة الرستمية بالمغرب الاسلامي حضارتها وعلاقتها الخارجية بالمغرب والأندلس (160هـ/296م)، ط3، دار القلم، الكويت، 1408هـ/1987م.

28) محمود إسماعيل عبد الرزاق، الخوارج في بلاد المغرب حتى منتصف القرن الرابع الهجري، ط2، دار الثقافة، الدار البيضاء، المغرب، 1406هـ/1985م.

29) مصطفى شاكر، المدن في الإسلام حتى العصر العثماني، ج1، ج2، ط1، مكتبة لسان العرب، 1988م.

30) موسى لقبال، المغرب الإسلامي،ط2، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1981م.

31) الهادي مبروك الدالي، التاريخ السياسي لإفريقيا ما وراء الصحراء من نهاية القرن الخامس عشر إلى بداية القرن الثامن عشر، ط1، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، 1999م.

خامسا: الرسائل الجامعية.

1) أحلام برباشي ودليلة براهيمي، النشاط الحرفي في المغرب الأوسط من الفتح إلى نهاية العهد الزياني من القرن (1-8هـ/8-16م)، مذكرة لنيل شهادة الماستر في تاريخ وحضارة المغرب الإسلامي الوسيط، جامعة المدية، 2019/2018م.

2) أمين كرطالي، الفقهاء والحياة السياسية في المغرب الأوسط خلال القرنين (10/9هـ)(16/15م)، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ والحضارة الإسلامية، قسم الحضارة الإسلامية، جامعة وهران، 2014/2013م.

3) البشير بوقاعدة، خراب المدن بالمغرب الأوسط والأدنى بين 296هـ-909م/547هـ-1152م، رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في تاريخ المشرق والمغرب الإسلامي، المدرسة العليا للأساتذة، بوزريعة، الجزائر، 2013/2012م.

4) بغداد عربي، العلاقات التجارية للدولة الموحدية، رسالة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ والحضارة الاسلامية، كلية العلوم الإنسانية والعلوم الإسلامية، جامعة وهران1، الجزائر، 2015/2014.

5) حماد فضل الله الصالحين صالح، تاريخ المغرب الأقصى الاقتصادي والاجتماعي في عصر المرابطين(448-541هـ/1056-1146م)، رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجستير، قسم التاريخ، كلية الآداب، جامعة بنغازي، ليبيا، 2012م.

6) دومة شهيرة و لغواطي اسمهان، العلاقات التجارية بين مملكة أراغون ودول المغرب الإسلامي خلال القرنين7-8هـ/13-14م، مذكرة لنيل شهادة الماستر في تاريخ الغرب الإسلامي في العصر الوسيط، جامعة المدية،2018/ 2019.

7) السعيد كداد، البادية والمدينة في المغرب الأوسط خلال العصر الوسيط، مذكة مكملة لنيل شهادة الماستر تاريخ القرون الوسطى، جامعة المسيلة، 2014/2013.

8) عبد الرزاق خالدي، دور الطرق التجارية في نشأة المدن بالمغرب الأوسط في العصر الوسيط، مدينة وارجلان أنموذجا، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الإسلامي، معهد الآثار، جامعة الجزائر، 2009/2008.

9) علي عشي، التوجه البحري للمغرب الأوسط وأثره في طرق التجارة والمواصلات(2-10هـ/8-16م)، أطروحة لنيل درجة دكتوراه علوم في التاريخ الوسيط، قسم التاريخ وعلم الآثار، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية، جامعة باتنة1، 2017/2016م.

10) فايزة العمري و ريمة عمران، التجارة في الأندلس من العهد الأموي إلى عهد الموحدين القرن2-7هـ/8-13م، رسالة مقدمة لنيل شهادة الماستر في تاريخ المغرب الإسلامي الوسيط، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية، جامعة آكلي محند اولحاج، البويرة، 2015/2014.

11) فطيمة مطهري، مدينة تيهرت الرستمية دراسة تاريخية حضارية (القرن 2-3هـ/8-9م)، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في تاريخ المغرب الإسلامي، قسم التاريخ والآثار، كلية العلوم الاجتماعية، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان، 2010/2009م.

12) قدور منصورية، ندرومة دراسة تاريخية وحضارية بين القرون السابع والعاشر الهجرية(633-962هـ/1235_1554م)، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في تاريخ المغرب الإسلامي، جامعة أبي بكر بلقايد، وهران، 2012/2011م.

13) محمد بن ساعو، التجارة والتجار في المغرب الإسلامي القرن (07-10هـ/ 13-15م)، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الوسيط، قسم العلوم الإنسانية، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية والعلوم الإسلامية، جامعة الحاج لخضر، باتنة، 2014-2015م.

14) مريم محمد عبد الله جبودة، التجارة في افريقية وطرابلس الغرب خلال العهدين الموحدي والحفصي (555-980هـ/ 1160-1572م)،رسالة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه في الآداب من قسم التاريخ(شعبة التاريخ الإسلامي)،جامعة الزقازيق،2008م.

15) مونة شرفي، الدروب والمسالك التجارية بين فاس والسودان الغربي على العهد المريني، مذكرة تخرج لنيل شهادة الماستر في تاريخ وحضارة المغرب الإسلامي، جامعة الدكتور طاهر مولاي، سعيدة، 2015/2014م.

16) نورالدين شعباني، علاقات ممالك السودان الغربي بدول المغرب الإسلامي وآثارها الحضارية (بين القرنين الخامس والتاسع الهجريين)، رسالة ماجستير في التاريخ الإسلامي، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية، جامعة بوزريعة، الجزائر، 2006/2005م.

خامسا: المقالات العلمية والملتقيات.

1) أسماء خلوط، الموانئ ودورها في تنشيط الملاحة البحرية والحركة التجارية بين المغرب الأوسط والأندلس(ق3-6هـ/10-12م)، "مجلة عصور الجديدة"، المجلد10، العدد01، جامعة وهران، الجزائر، 2020م.

2) إسماعيل العربي، العمران والنشاط الاقتصادي في عصر بني حماد، "مجلة الأصالة"، العدد19، وزارة التعليم الأصلي والشؤون الدينية، الجزائر، 1974م.

3) إسماعيل بن النعمان، مدينة مرسى الدجاج من خلال النصوص التاريخية والبقايا الأثرية، "مجلة عصور الجديدة"، العدد19-20، جامعة وهران، الجزائر، 2015م.

4) حمد محمد الجهيمي، العلاقات التجارية بين مملكة غانا وبلاد المغرب فيما بين القرنين الثالث والخامس الهجريين/ السابع والحادي عشر الميلاديين، قسم التاريخ، كلية الآداب والعلوم، جامعة عمر المختار، درنة، ليبيا.

5) حميد الحداد، ثوابت عمرانية بين ابن ابي الربيع وابن خلدون، "دورية كان التاريخية"، العدد28، دورية رقمية عربية، 2015.

6) خديجة بورملة، بجاية المدينة والميناء ودورهما في التجارة المتوسطية خلا ل العصر الوسيط، "مجلة عصور الجديدة"، المجلد08، العدد01، الجزائر، 2018م.

7) خديجة بورملة و عبد القادر بوباية، النشاط البحري الأندلسي في حوض البحر المتوسط ودوره في نشأة وتطور المدن الساحلية للمغرب الأوسط(دراسة نماذج بعض المدن من خلال الكتابات الجغرافية)، "مجلة عصور الجديدة"، العدد23، 2016م.

8) رفيق خليفي، الأندلسيون وتنشيط حركية الواجهة البحرية للمغرب الأوسط، الملتقى الدولي:الموانئ الجزائرية عبر العصور سلما وحربا، مخبر البناء الحضاري، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية، جامعة الجزائر2، الجزائر، 2009م.

9) عزالدين بويحياوي، تأثير الطرق في إنشاء مدن المغرب الأوسط،"المجلة المغاربية للدراسات التاريخية والاجتماعية"، المجلد4، العدد2، 2013م.

10) عبد العزيز رشيد، تصدير المغرب الأوسط للحبوب من (2هـ-8م) إلى (6هـ-12م)، " دورية كان التاريخية "، العدد 34، دورية رقمية، 2016.

11) نعيمة عميروش، الفنادق ودورها التجاري، الملتقى الدولي: الموانئ الجزائرية عبر العصور سلما وحربا، مخبر البناء الحضاري، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية، جامعة الجزائر2، الجزائر، 2009م.

12) محمد الهادي حارش، الجذور التاريخية لمملكة نوميديا، "مجلة الإتحاد العام للآثاريين العرب"، العدد10، القاهرة، 2009.

13) معمر الهادي القرقوطي، دور ميناء طرابلس الغرب الاستراتيجي في العصر الإسلامي، الملتقى الدولي: الموانئ الجزائرية عبر العصور سلما وحربا، مخبر البناء الحضاري، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية، جامعة الجزائر2، الجزائر، 2009م.

فهرس

الموضوعات

مقدمة: 1-7

مبحث تمهيدي: دراسة جغرافية و بشرية لبلاد المغرب الإسلامي.....9-26

أولا: الإطار الجغرافي لبلاد المغرب الإسلامي.....9-15

ثانيا: التركيبة السكانية لبلاد المغرب الإسلامي.....15-17

ثالثا: الأوضاع الاقتصادية لبلاد المغرب الإسلامي.....17-26

المبحث الأول: المقومات التجارية في بلاد المغرب الإسلامي..... 28-51

المطلب الأول: المبادلات التجارية.....28-37

1- الصادرات.....28-33

2- الواردات.....33-37

المطلب الثاني: الطرق والمسالك التجارية.....38-44

1- الطرق والمسالك الداخلية.....38-40

1-1 الطرق البرية

1-2 الطرق البحرية

2- الطرق والمسالك الخارجية.....40-44

2-1 الطرق الرابطة بين المغرب والأندلس.

2-2 الطرق الرابطة بين المغرب والسودان.

2-3 الطرق الرابطة بين المغرب والمشرق.

المطلب الثالث: المؤسسات التجارية.....44-48

1- الفنادق.....44-46

2- الأسواق.....46-48

المطلب الرابع: الموانئ.....48-50

1- ميناء طرابلس.....49

2- ميناء تونس.....49

3- ميناء بجاية.....50
4- ميناء وهران.....50
5- ميناء سبتة.....50
المبحث الثاني: المدينة الإسلامية في المغرب ودور التجارة في نشأتها.....52-71
المطلب الأول: مفهوم المدينة.....53-56
1- المفهوم اللغوي للمدينة.....53-54
2- المفهوم الاصطلاحي للمدينة.....54-56
المطلب الثاني: نشأة المدينة الإسلامية في بلاد المغرب 57-63
1- نشأة المدينة الإسلامية.....57-60
2- نشأة المدينة في بلاد المغرب الإسلامي.....60-63
المطلب الثالث: أثر التجارة في نشأة مدن المغرب الإسلامي.....63-71
المبحث الثالث: إسهامات التجارة في تأسيس مدن المغرب الإسلامي.....72-92
المطلب الأول: المدن الساحلية.....73-82
1- مدينة مرسى الخرز.....73
2- مدينة بجاية.....73-75
3- مدينة تدلس.....75-76
4- مدينة مرسى الدجاج.....76-78
5- مدينة تنس.....78-79
6- مدينة وهران.....79-81
7- مدينة سبتة.....81-82
المطلب الثاني: المدن الداخلية.....82-88
1- مدينة القيروان.....82-83
2- مدينة سوق حمزة.....84
3- مدينة سوق إبراهيم.....84-85
4- مدينة تاهرت.....85-86

5- مدينة إفكان.....86
6- مدينة جراوة أبي العيش.....87
7- مدينة فاس.....88-87
المطلب الثالث: المدن الصحراوية.....92-89

1- مدينة وارجلان.....90-89
2- أغمات.....90
3- مدينة سجلماسة.....92-91
الخاتمة.....95-93

الملاحق.....98-96

البيبلوغرافيا.....109-99

فهرس المحتويات.....114-110